أولويّة الإصلاح التربوي



نحو وعي تربوي مغاير

أولوية الإصلاح التربوي

الدكتور

عبد الرحمن النقيب

١٩٩٧

دار النشر للجامعات -

القاهرة

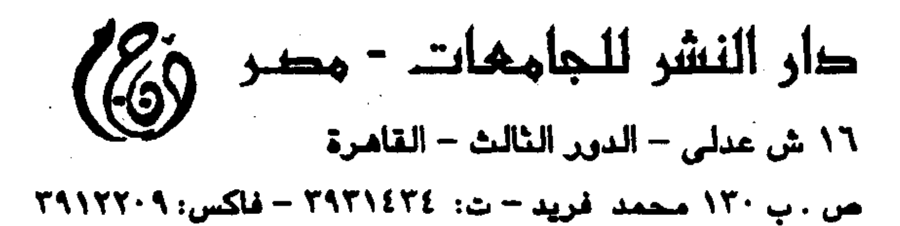
الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

رقم الإيداع : ٩٧/٢٠٩٨

I.S.B.N.

977 - 5526 - 54 - X



دار النشر للجامعات - مصر

١٦ ش عدلى – الدور الثالث – القاهرة

ص . ب ١٣٠ محمد فريد – ت: ٣٩٣١٤٣٤ – فاكس: ٣٩١٢٢٠٩

مقدمة

لا تكاد تخلو جلسة تربوية - تجمع التربويين - من الحديث عن الشعور بأزمة التعليم المصرى، وفشله فى تحقيق طموحات الشعب من هذا التعليم.

ورغم اختلاف وجهات النظر فى سبب هذه الأزمة وتاريخها والعوامل المساعدة عليها، إلا أن هناك ما يشبه الإجماع على أن التعليم المصرى بصورته الحالية لم يحقق للإنسان المصرى توقعاته من هذا التعليم.

ولقد أحسنت **«دار النشر للجامعات»** صنعًا أن عزمت على إصدار سلسلة من الكتابات الصغيرة التى تتناول قضية محددة، وتحاول أن تلقى عليها الضوء بحيث تخدم تلك القضية فى إثارة المياه التربوية الراكدة، وتقدم ما يمكن أن يسهم فى إعادة التفكير فى الواقع التربوى المتأزم، وكيفية الخروج منه. وقد رأت الدار أن تكون تلك الكتابات جامعة بين الرصانة العلمية، واليسر فى توصيل الآراء لأكبر عدد ممكن من مثقفى الأمة وقرائها.

كذلك حرصت الدار أن تأتى تلك السلسلة بأقلام أساتذة التربية أنفسهم، فهم أدرى الناس بشعاب مكة، على أن يحمل كل كتاب من السلسلة رسالة تربوية محددة المعالم، وليس مجرد عمل أكاديمى بحت.

ولقد سعدت بفكرة هذه السلسلة التربوية الجديدة، التى تصدرها دار نشر

تبحث عن رسالة علمية تربوية تقدمها لمصر وللعالم العربى والإسلامى، ورحبت أن أقدم لها هذا الكتاب الأول بتلك المقدمة المتواضعة، مهيباً بكل الزملاء المحبين لمصر ولعالمنا العربى والإسلامى، الراغبين فى تحقيق النهضة والتقدم والازدهار لنا وللعالم من حولنا، أن يكتبوا فى تلك السلسلة، وأن يرفدوها باستمرار بما لديهم من أفكار ومقترحات ، حتى تقوم تلك السلسلة بدورها فى إيجاد وعى تربوى مغاير، يسهم فى خروجنا من هذا المأزق الحضارى الذى أوقعتنا فيه تربية تفرق ولا توحد، توهن ولا تقوى، تفسد ولا تصلح، تزدرى الماضى وتتجاهل الحاضر، ولا تسهم فى صناعة المستقبل، ولا ترجع منها إلا بخفى حنين.

وأنا واثق أن بيننا الكثير من الشرفاء، والكثير من المحبين لمصر وللعالم العربى والإسلامى، والذين سوف يحرصون على أن يظل هذا اللواء مرفوعاً، يمد الجسد التربوى بالدماء الحارة المتجددة إلى أن يعود لمصر وجهها المشرق الوضاء، ويعود للعالم العربى والإسلامى وزنه ودوره الحضارى العالمى المنشود.

ولقد طلبت منى **«دارالنشرللجامعات»** أن أكتب مقدمة السلسلة، وأن أكتب أيضا أول كتاب فى تلك السلسلة، ورأيت لديَّ ثلاث أوراق مكتوبة بالفعل ومقدمة إلى مؤتمرات خلال هذا العام، ويجمعها خيط واحد هو شعور بواجب التربويين نحو تغيير الواقع التربوى فى مصر هذا بالإضافة إلى ثلاثة أبحاث جديدة كتبتها خصيصاً لهذا الكتاب هما: «البحث العلمى فى التربية الدينية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية إلى أين؟»،

«الخدمات الطلابية بين الأصالة والتغريب»، «أولويات واجبات أساتذة التربية فى مصر».

كذلك وجدت لدى ثلاثة كتيبات صغيرة جداً كنت قد كتبتها عام ١٩٨١م فى مرحلة الحماس، ووزعتها توزيعاً محدوداً على نفقتى الخاصة، وكانت تحت عنوان «رسالة إلى رجال مصر وشبابها المثقف»، وكان تصورى يومها أنها سوف تستمر، ولكنها توقفت عند هذه الأعداد الخمسة: واقعنا التربوى المعاصر، وجهة نظر، خطة عملية مقترحة لمحو الأمية فى مصر، تصور عام لإقامة مدارس إسلامية تجريبية، ولو استمرت لكان لها شأن آخر، ولكنها الظروف والإعارة إلى الدول العربية والتقصير فى نفس الوقت ورأيت إتماماً للفائدة أن أضيفها كملاحق لهذا الكتاب.

وفقنا الله جميعًا لخدمة الحق والحقيقة، وجعلنا من رواد الحق والباحثين عنه والناشرين له فى الآفاق، وإلى لقاءات علمية متجددة من خلال كتابات تلك السلسلة.

أ.د. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب

كلية التربية - جامعة المنصورة

أكتوبر سنة ١٩٩٦م

أولوية الإصلاح التربوى
لنجاح العمل الإسلامى(*)

إن المراقب لأحوال العالم الإسلامى اليوم، يمكنه أن يرصد نقاصد قوة يمكن أن تحسب لصالح العمل الإسلامى المعاصر. فالحركات الإسلامية قد اشتد عودها، وكسبت أرضًا جديدة داخل المجتمعات الإسلامية، وانتقلت من مرحلة الدفاع عن الذات بطريقة عاطفية إلى مرحلة إقناع الغير بالحجة والموعظة الحسنة، ورغم ما يحيط بالعمل الإسلامى من ظروف قاهرة تحد من حركته وتقلل من اندفاعته وحركته، إلا أنه أثبت نفسه فى كثير من المجالات[1]، ورغم ذلك ـ وربما بسبب ذلك ـ كانت

(*) من بحوث المؤتمر الدولى: العمل الإسلامى: الواقع والمستقبل، الذى عقدته جامعة الأزهر بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية بمركز كامل للاقتصاد الإسلامى، جامعة الأزهر، القاهرة، الفترة من ٥ - ٨ ذى القعدة ١٤١٤هـ، الموافق ١٦ - ١٩ إبريل ١٩٩٤م.

(١) من ذلك: عقد المؤتمرات العالمية التربوية الخمسة والتى ورد ذكرها فى البحث، وإيجاد مراكز عالمية متخصصة فى المجالات المختلفة كالمركز العالمى لأبحاث الاقتصاد الإسلامى بجدة، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالرباط، ومركز الأبحاث للتاريخ الإسلامى والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، والمركز العالمى للفكر الإسلامى بأمريكا، وغيرها من المؤسسات الإسلامية العالمية. وانظر أيضاً:

- زكى أحمد: الحركة الإسلامية ومعالم المنهج الحضارى، دار البيان العربى، بيروت ١٩٩١م.

حاجة هذا الفكر الإسلامي الملحة إلى إعادة النظر في أمور التربية في عالمنا العربي والإسلامي، إذا أراد هذا العمل الإسلامي أن يكون أصلب عوداً، وأدوم أثراً، وأكثر قدرة على البذل والعطاء.

ولما كنت أتوقع أن يغطي غيري بكفاءة واقتدار الأولويات الأخرى في مجال الاقتصاد والإعلام والإدارة والتنظيم وغيرها من مجالات الفكر الإسلامي، فقد رأيت أن أركز في تلك الورقة على ميدان التربية والتعليم لسببين: الأول: أنه مجال تخصصي، والثاني: لقناعتي الشخصية أن العمل الإسلامي الآن أحوج ما يكون إلى وقفة حاسمة مع موضوع التربية. هو أحوج ما يكون لهذا العمل الجاد في مجال التربية على مستويين: مستوى إعداد الدعاة والمتفرغين للعمل الإسلامي تفرغاً كلياً أو جزئياً، ومستوى الجماهير التي يوجه لها الخطاب الإسلامي.

إن العمل الإسلامي - بدون تربية خاصة للكوادر العاملة في حقله - يمكن أن يقع في أخطاء جسيمة على الإسلام والمسلمين، كما يمكن أن يقع في أخطاء فكرية ومنهجية وحركية تعوق من حركته، أو على الأقل تبدد الكثير من طاقته فيما هو أقل أهمية. إن كثيراً من الوقت والجهد قد ضاع عندما انشغلت بعض الحركات الإسلامية بالجزئيات عن مقاصد الشريعة وكلياتها، وعندما عزفت عن الإبداع والأصالة، وركنت إلى التقليد والتبعية، وخلطت بين الثوابت والمتغيرات، وقدست ما ليس

= - إسماعيل صبري عبد الله وآخرون: الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧م.

بمقدس، وبالغت فى إبراز مزاياها وعيوب مخالفيها، وغابت لديها الموازين لما يقبل وما يرفض من الحضارة الحديثة وفسرت النصوص تفسيراً جامداً لدعم سلوك فرد أو سلطة، وهونت من متطلبات التغيير الإسلامى ومن تحضير الواقع والناس لهذا التغيير.

ولاشك أن هذه الأخطاء وغيرها يمكن أن تقل إذا أعدنا النظر فى تربية العاملين فى حقل العمل الإسلامى، وأحسنا اختيار تلك العناصر، وأحسنا تربيتها وتدريبها على هذا العمل[1].

إن التعليم الأزهرى ـ وما شابهه من تعليم دينى على مستوى العالم الإسلامى كله ـ محتاج إلى مراجعة كاملة؛ لكى نتأكد أن خريج هذا النوع من التعليم قد أعد بالفعل الإعداد المناسب لداعية القرن العشرين، كذلك فإن دورات الأئمة والدعاة، وحلقات التثقيف وبرامج الإعداد

---

(١) يراجع فى ذلك:

- Hisham Attalib: **Trainng Guide for Islamic Workers**. The international Institue of Islamic Thought, U. S. A, 1991.
- عمر عبيد حسنة: **فقه الدعوة ملامح وآفاق (جزآن)**، كتاب الأمة رقم ١٩، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ١٤٠٨هـ.
- راشد الغنوشى: مقالات، **حركة الاتجاه الإسلامى بتونس**، دار الكروان للطباعة والنشر والتوزيع، باريس، ١٩٨٤م.
- عبد الله النفيس وآخرون: **الحركة الإسلامية ـ رؤية مستقبلية، أوراق فى النقد الذاتى**، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٨٩م.
- عبد المجيد النجار: **فى فقه التدين فهمًا وتنزيلاً**، كتاب الأمة رقم ٢٢، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ١٤١٠هـ.

المختلفة التى تلجأ إليها الحركات الإسلامية المختلفة ـ كل ذلك يحتاج إلى إعادة نظر، وإلى نقد وتحليل وتقويم على ضوء متطلبات العمل الإسلامى فى هذا العصر، وهذا مجال حساس، ويخشى الاقتراب منه الكثير؛ حرصًا على السلامة، أو قناعة بالموجود، وظنًا أنه ليس فى الإمكان أبدع مما هو كائن، وأكاد أجزم أن إعادة النظر فى هذا النوع من التعليم هو ضرورة إسلامية، بل هو من أولى الضروريات لنجاح العمل الإسلامى: أهداف هذا التعليم، مناهجه، معلمه، طلابه، إدارته وتحويله.. إلخ، كل ذلك فى حاجة إلى وقفة ووقفات وكثير من البحوث والدراسات النظرية والتجريبية[1].

إن الأزهر ـ مؤسسة الألف عام من العلم والتعليم فى مصر والعالم الإسلامى، والذى انتقل تأثيره العلمى إلى معظم دول العالم العربى والإسلامى ـ لم ينل بعد من الدراسات والبحوث التربوية ما نالته المؤسسات التربوية الأخرى الأكثر حداثة، والتى يرجع معظمها إلى عشرات السنوات. إن نسبة مئوية ضئيلة من الدراسات والبحوث التربوية هى التى توجهت إلى تلك المؤسسة العربية، والتى اقتدت بها معظم المؤسسات التربوية الدينية فى دول العالم الإسلامى كله، أقول: إن نسبة ضئيلة هى تلك الدراسات والبحوث التى حاولت تطوير العملية التعليمية داخل الأزهر بمعاهده

---

(١) للباحث محاولات متواضعة فى هذا المثال:

- The Educational Refem of AL - Azhar, 1872 - 1972, ph. D Thesis Exeter universi-ty, U. K, 1980.

- «العوامل والقوى المؤثرة على إصلاح التعليم الأزهرى: الواقع والمثال» فى: بحوث فى التربية الإسلامية، الكتاب الأول، دار الفكر العربى، ١٩٨٣م، ص ٨٤ - ١٠٩.

وكلياته، وحاولت أن تناقش عوامل قوته وأسباب الأخذ بيده حتى يحقق رسالته[1]؛ ولذا يؤكد الباحث هنا على ضرورة أن تتجه بحوث كليات التربية جامعة الأزهر ـ والجامعات الإسلامية المشابهة له ـ إلى هذا الميدان، إسهامًا منها فى تطوير هذا التعليم الدينى الإسلامى، وجعله فى خدمة العمل الإسلامى بشتى مجالاته: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية ... إلخ.

إن العمل الإسلامى يفقد رصيداً هائلاً من الرجال العاملين فى الميدان، إذا ترك تلك المؤسسات الدينية بدون تطوير ورضى أن يكون التعلم العام أو غير الدينى هو التعليم الأكثر ميزانية، والأفخم مبنى، والأكثر عائداً من الناحية المادية والمعنوية، وعليه أن يتدارس أساليب النهوض بهذا التعليم على المستوى الرسمى وعلى المستوى الشعبى. ومن حسن حظ العاملين فى الحقل الإسلامى أن الشعوب الإسلامية مازالت فى معظمها تحترم علماء الدين ومازالت مستعدة أن تضحى من أجل هؤلاء العلماء، إذا أخذ هؤلاء العلماء بزمام المبادرة، ونزلوا إلى الجماهير، وأقنعوها بحاجة مؤسساتهم الدينية إلى تطوير وتحسين، وإلى تبرعات ومساندة مالية ومعنوية. كذلك فإن من حسن حظ تلك المؤسسات الدينية أن معظم الحكومات تستمد

(١) فى قلة الدراسات والبحوث التربوية عن الأزهر والتعليم الأزهرى راجع:
الباحث: التربية الإسلامية رسالة ومسيرة، الكتاب السادس من بحوث فى التربية الإسلامية، دار الفكر العربى، ١٩٩٠م، ص ٧٩ - ١٠٥، دليل الباحث فى التربية الإسلامية، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، عمان، ١٩٩٤م (تحت الطبع).

شرعيتها بالدرجة الأولى من احترامها لهذا الدين ورعاية مؤسساته، ومن ثم فإنها لا يمكن أن تظهر العداء أو الإهمال لتلك المؤسسات. والسؤال الذى يحتاج إلى تفكير: كيف يستطيع العاملون فى الحقل الإسلامى أن يستغلوا ذلك كله فى تطوير تلك المؤسسات التربوية الدينية اعتماداً على الدعم الحكومى والشعبى إلى أقصى حد ممكن؟

فإذا تركنا حقل التعليم الأزهرى وما شابهه من مؤسسات تربوية دينية إسلامية على مستوى العالم العربى والإسلامى - وهو فى نظرى المحضن الطبيعى لتكوين القواعد الخرسانية والعمد الأساسية التى يقوم عليها العمل الإسلامى، بعد أن اتفقنا على أهمية هذا النوع من التعليم، وضرورة إصلاحه وتطويره، كضرورة من ضروريات نجاح العمل الإسلامى - وانتقلنا إلى التعليم الجماهيرى أو التعليم العام غير الدينى، نريد أن نسجل هنا كيف تحول التعليم الأزهرى أو الدينى، من تعليم جماهيرى لمعظم أفراد الشعوب المسلمة، إلى تعليم فئوى أو تعليم قلة قليلة، وترك مكانه الجماهيرى أو الشعبى للتعليم العام. حدث ذلك فى مصر، كما حدث أيضاً فى غيرها من بلدان العالم العربى والإسلامى.

ففى مصر - ومنذ أنشىء الأزهر وحتى منتصف القرن التاسع عشر - كان التعليم الشعبى الوحيد هو التعليم الدينى. وعندما أنشىء التعليم الحديث كان هو تعليم الصفوة من الأفندية، وظلت القاعدة العريضة المثقفة قاعدة أزهرية، بدءا من الكتّاب وانتهاءً بالمساجد الكبرى فى عواصم

المحافظات: القاهرة والأسكندرية وطنطا ودمياط... إلخ.

إن التحول التربوى الذى حدث فى مصر وغيرها من دول العالم العربى والإسلامى من تعليم دينى أزهرى شعبى، إلى تعليم عام يحتل فيه الدين منزلة أقل أهمية من ذى قبل، لابد أن يدرس وأن يحلل، وأن نكشف العوامل السياسية والاقتصادية التى أدت إليه، وأن ندرس أيضًا أثر هذا التحول على البلاد[1].

واللافت للنظر أن ما حدث فى مصر ومع الأزهر والتعليم الدينى الأزهرى قد حدث بدرجات متفاوتة فى كل دول العالم العربى والإسلامى، والسؤال هو: هل كان هذا التحول التربوى لصالح مصر ولصالح الدول العربية والإسلامية التى سارت على نفس الطريقة؟ ألم تكن هناك صيغة أخرى للإصلاح التعليمى تحتفظ لهذه الشعوب كلها بتعليم إسلامى يوحد صفوفها، ويصون قيمها، ويجعل كل المثقفين ـ كما كانوا دائمًا عبر عصورنا الإسلامية الزاهرة ـ أصحاب ثقافة إسلامية أولاً، ثم أصحاب تخصصات علمية ثانيًا؟ ولصالح من كان هذا التحول التعليمى فى مصر وفى دول العالم العربى والإسلامى؟ ولعلكم تتفقون على ضرورة أن يواجه العاملون فى الحقل الإسلامى هذه الأسئلة، ويحاولوا الإجابة العلمية عليها، مع توضيح رأى الشرع الإسلامى فى هذا التحول، وتوضيح

---

(١) حاول الباحث شيئًا عن ذلك فى دراسته: «تعارض الولاء فى التعليم المصرى فى الفترة من ١٨٨٢ - ١٩٧٠م، دراسة حالة» فى: بحوث فى التربية الإسلامية، الكتاب الخامس، دار الفكر العربى، ص ٨٩ - ص ١١٩.

ذلك كله للحكومات والجماهير والشعوب المسلمة.

نترك هذا، ولننتقل إلى التعليم العام الجماهيرى أو الشعبى بجميع مستوياته وبسلمه التعليمى الذى يدور حول خمس مراحل: التعليم ما قبل المدرسى، التعليم الابتدائى، التعليم الإعدادى، التعليم الثانوى، التعليم الجامعى، والعالى وما يتصل به من معاهد عالية ومتوسطة، حكومية وخاصة، مدنية وعسكرية، والتى ظهرت فى عالمنا العربى والإسلامى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين؛ لنلاحظ أن هذا التعليم منذ نشأته حتى اليوم قد افتقد وجود فلسفة تربوية إسلامية توجهه، وأنه ربط نفسه فى الغالب بفلسفات تربوية وافدة، تأخذ من الغرب تارة، وتأخذ من الشرق تارة أخرى، فانعكس ذلك على هذا التعليم من حيث المناهج والأهداف وطرق التدريس والأنشطة التربوية... إلخ، فجاء تعليماً قاصراً غير واضح الأهداف والغايات، وبدلاً من أن ينطلق هذا التعليم العام من فلسفة تربوية إسلامية، تستمد توجيهاتها من القرآن الكريم والسنة الشريفة فى وضع تصورها عن الكون والإنسان والحياة، وتواجه تصورات الآخرين عن هذه القضايا المواجهة الإسلامية الصحيحة، التى تحلل وتنقد وتقتبس فى ضوء فلسفتها التربوية الإسلامية الواضحة، إذ بفلسفة هذا التعليم تقنع ـ فى الغالب ـ بمجرد التقليد والتبعية الثقافية والتربوية[1].

---

(١) يراجع فى ذلك: مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، عمان ٢٤ - ٢٧ يوليو ١٩٩٠م (ثلاثة أجزاء) جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، عمان، ١٩٩١م.

ـ الباحث: «نحو فلسفة إسلامية تربوية» فى: مقدمة فى التربية وعلم النفس، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ١٩٨٧م، ص ٧٥ - ٩٠.

ورغم أخذ جميع الحكومات العربية والإسلامية بهذا التعليم الحديث العام، وإيمانها به كأداة من أدوات التقدم والنمو - ورغم ما رصدته وما زالت ترصده تلك الحكومات من ميزانيات للإنفاق على هذا التعليم العام بجميع مراحله وأنواعه - إلا أن الثمار المرجوة من ذلك كانت دائمًا أقل بكثير من الآمال المتوقعة، إذ فشلت معظم تلك المؤسسات التعليمية فى إيجاد الأجيال المعاصرة التى يمكن أن تواجه التحدى العالمى الذى فرض عليها، أو تحقق المطالب التاريخية الكبرى لأمتها العربية والإسلامية(١).

لقد كان من سوء حظ عالمنا العربى والإسلامى، أن مؤسسات التعليم الدينى لم تستطع أن تحافظ على الفلسفة التربوية الإسلامية فى الإنسان والمعرفة والأخلاق والمجتمع فى صورتها الإسلامية الصافية، وخضعت تلك المؤسسات لضغوط عصور الضعف والاستبداد، فانعزلت عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية - راضية أو مكرهة - وكرست نفسها لعلوم اللغة وعلوم الدين بالمعنى الضيق، وتركت شؤون الحكم والاقتصاد والتوجيه - راضية أو مكرهة - لأبناء مؤسسات التعليم الحديث العام، والذين كانوا -

---

(١) انظر فى ذلك:

- انطوان زحلان: **العلم والسياسة العلمية فى الوطن العربى**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
- عبد الله عبد الدايم وآخرون: **الأبعاد التربوية للصراع العربى الإسرائيلى**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.
- عبد الله عبد الدايم: **التربية فى البلاد العربية - حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها من عام ١٩٥٠ إلى عام ٢٠٠٠م**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م.

فى الغالب ـ مبهورين بإنجازات الحضارة الغربية، والذين ظنوا ـ خطأ ـ أن تقدم بلادهم لن يكون إلا بالاقتداء الكامل بالغرب بما بلغه من تقدم علمى وتقنى، غير مدركين ما فى تلك الحضارة من تناقضات وعيوب، تبتعد عن روح الإسلام وقيمه الإنسانية وحضارته العالمية الخالدة[1].

لقد ازداد الإحساس مؤخراً بضرورة أن تكون لنا فلسفتنا التربوية الخاصة بمجتمعاتنا العربية والإسلامية، وزاد من هذا الإحساس أن محاولات استعارة فلسفات تربوية شرقية أو غربية قد سببت لعالمنا العربى والإسلامى المزيد من التخبط فى ميدان التعليم، وأن نظم تعليمنا الحالية قد فشلت فى إيجاد إنسان ومجتمع القرآن والسنة، ومن ثم الأمة الإسلامية الواحدة، ذات الرسالة العالمية الخالدة؛ لذلك أكدت المؤتمرات الإسلامية العالمية الخمسة المنعقدة على التوالى فى مكة المكرمة إبريل ١٩٧٧م، إسلام آباد بباكستان مارسة ١٩٨٠م. دكا ببنجلاديش مارس ١٩٨١م، وجاكارتا بأندونيسيا أغسطس ١٩٨٢م، وجامعة الدول العربية بالقاهرة مارس ١٩٨٧م، وغيرها حاجة الأمة الإسلامية إلى نوع جديد من التربية، قادر على إيجاد الأمة

---

(١) فى نقد الحضارة الغربية مقارنة بالحضارة الإسلامية انظر مثلاً:

ـ أنور الجندى: **الفكر الغربى دراسة نقدية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٩٨٧م.

ـ توفيق يوسف الواعى: **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية**، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٩٨٨م.

ـ رينيه دوبو: **إنسانية الإنسان: نقد علمى للحضارة المادية**، ترجمة نبيل صبحى الطويل، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩م.

الإسلامية الصالحة ذات الرسالة العالمية الخالدة[1].

وفى اعتقادى أن المشتغلين بالعمل الإسلامى - على اختلاف فصائلهم - لم يدركوا بعد الإدراك الكافى لأهمية هذا الإصلاح التربوى، إذا أرادوا بالفعل أن ينجحوا فى مهمتهم الإسلامية. إننا بحاجة بالفعل إلى نظام تربوى إسلامى جديد، يجمع بين العلوم الإسلامية والعلوم الحديثة معًا، وتسرى فى جنباته روح الإسلام: طلابًا ومعلمين، ومناهج وطرق تدريس ومناخ تعليمى، وقد يبدو أن هذا الأمر سهل، وقد يحلو للبعض حتى أن يقول: «أبشر، فنحن فى الطريق سائرون، وهذه جامعات ومؤسسات بدأت تهتم بهذا الموضوع، وهذه مؤتمرات تربوية عالمية إسلامية قد عقدت، وهذه

---

(١) انظر بحوث تلك المؤتمرات العالمية الخمسة:

- سيد سجاد حسين، سيد على أشرف: **أزمة التعليم الإسلامى**، ترجمة أمين حسين، الرباط، مكتبة عكاظ، جده، ١٩٨٣م.
- محمد حامد الأفندى، نبى أحمد بالونتشى: **المنهج وإعداد المعلم**، ترجمة عبد الحميد الخريبى، مكتبة عكاظ، جدة، ١٩٨٤م.
- إسماعيل راجى الفاروقى، عبد الله عمر نصيف: **العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية**، ترجمة عبد الحميد الخريبى، مكتبة عكاظ، جدة، ١٩٨٤م.
- محمد وصى الله خان: **التربية والمجتمع فى العالم الإسلامى**، ترجمة عبد الله الخريبى، مكتبة عكاظ، جدة ١٩٨٤م.
- سيد حسن نصر: **الفلسفة والأدب والفنون الجميلة من وجهة النظر الإسلامية**، ترجمة عبد الحميد الخريبى، دار عكاظ، جدة، ١٩٨٤م.
- **بحوث المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية**، المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية بالقاهرة، ١٩٨٧م (خمسة أجزاء).

كتابات هنا وهناك قد كتبت حول الموضوع» ورغم أن هذا صحيح إلا أنه دون المأمول بكثير، والأهم من ذلك أنه دون المطلوب والواجب بكثير.

إن التربويين الإسلاميين مازال كلامهم عامًا وغير محدد حول المدرسة الإسلامية، والجامعة الإسلامية المنشودة، وكيف تكون من حيث الأهداف والمحتوى والإدارة والتمويل والمناخ التعليمى ... إلخ. كذلك فإن الإصلاح التربوى الإسلامى المنشود لن يتم بالمنى والتمنى، بل بالدراسة والتخطيط والعمل العلمى الجاد، لإيجاد هذا البديل التربوى الإسلامى بصورة عملية وواقعية وقابلة للتطبيق، كل ذلك يستلزم ضرورة إيجاد نواة صلبة من الباحثين التربويين الإسلاميين، تتفرغ بالكامل للحبث فى قضايا الأمة التربوية، وتبحث فى تقديم البدائل التربوية الإسلامية لعالمنا الإسلامى المعاصر، وتتجمع تلك النواة الصلبة فى مركز عالمى للتربية الإسلامية[1]، وحيث إن الإسلام هو القادر بالفعل على تفجير طاقات تلك الأمة، فإن هدف هذا المركز العالمى للتربية الإسلامية بالدرجة الأولى، هو عمل الدراسات اللازمة لإعادة الروح الإسلامية إلى بنية التعليم فى جميع أنحاء العالم العربى الإسلامى، وسيكون من مهام هذا المركز المقترح ما يلى:

---

(١) قدم الباحث «مشروع إنشاء المعهد العالى العالمى للتربية الإسلامية» لأمانة شؤون الجامعات والدراسات والبحوث برابطة العالم الإسلامى بمكة، بناء على طلب الأمانة عام ١٩٩٠م، كآلية لتحقيق تلك المهام، ثم توقف الاهتمام بالموضوع عند هذا الحد، نظراً لانتهاء إعارة الباحث لكلية التربية بالمدينة المنورة، انظر المشروع فى: **التربية الإسلامية رسالة ومسيرة**، مرجع سابق ص ٣٢٣ - ٣٣٤.

١ - إجراء الدراسات والبحوث اللازمة لإيجاد الفلسفة التربوية الإسلامية التى ينبغى أن توجه العملية التربوية، حيث إنه بدون وجود تلك الفلسفة التربوية الإسلامية فسيظل العمل التربوى متردياً، يعانى من التخبط والتناقض والكثير من السلبيات.

٢ - إعطاء اهتمام كبير للدراسات والبحوث التى تتناول التعليم الدينى من أجل تطويره وتحديثه حتى يحقق غايات الأمة، إلى أن تأتى اللحظة التاريخية المناسبة التى تختفى فيها ازدواجية التعليم من دول العالم العربى والإسلامى.

٣ - إعداد معجم بالمصطلحات التربوية الواردة فى القرآن الكريم، وآخر بالمصطلحات الواردة فى الحديث الشريف من خلال كتب الصحاح، حتى يمكن للدارسين والعاملين بمجال التربية أن يلموا بتلك المصطلحات، وتكون جزءاً أصيلاً من ثقافتهم.

٤ - إعداد معجم بالمصطلحات التربوية الواردة فى التراث التربوى الإسلامى عبر العصور، وما حدث لها من تطور أو جمود، والقوى والعوامل المؤثرة على ذلك، حتى يصبح رجال التربية على دراية بكل ذلك، وحتى يمكنهم الاستفادة من هذا التراث التربوى الثرى.

٥ - إعداد دراسة عن مناهج البحث التربوى من المنظور الإسلامى والذى يختلف عن مناهج البحث الأخرى، بحيث يجمع الباحث التربوى المسلم بين تقنيات البحث المختلفة، مع التمكن فى نفس الوقت من

التعامل مع المصادر الإسلامية من قرآن وسنة ومقاصد شريعة، مما له اتصال بموضوع بحثه[1].

٦ - إعداد دراسات موسعة عن التعليم فى دول العالم الإسلامى المعاصر، وما أصاب هذا التعليم من تطور وتحول، بما فى ذلك تعليم الأقليات المسلمة؛ حتى يدرك التربوين فى العالم العربى والإسلامى حجم أزمة التعليم التى تواجهها الأمة حالياً.

٧ - إعداد أدلة دورية متطورة بالرسائل الجامعية (الماچستير والدكتوراه) التى كتبت فى التربية من منظور إسلامى بالجامعات العربية والإسلامية، ويكون ذلك مقدمة لأدلة أشمل تتناول البحوث والمقالات على مستوى العالم كله، فيكون ذلك فى خدمة البحوث التربوية الإسلامية المستقبلية[2].

٨ - إعداد سلسلة «إسلامية العلوم التربوية» والتى تعيد صياغة العلوم التربوية صياغة إسلامية، وتكون تلك السلسلة نواة لأسلمة جميع

---

(١) للباحث محاولة فى هذا الاتجاه: «نماذج من مناهج البحث التربوى عند المسلمين»، «نحو منهجية علمية فى البحث التربوى الإسلامى المعاصر» فى **التربية الإسلامية رسالة ومسيرة**، مرجع سابق ص ١٨١ - ٢٧٠.

(٢) للباحث محاولات فى هذا الاتجاه: «مشروع مكتبة بحثية لدراسة التربية الإسلامية» فى **بحوث فى التربية الإسلامية**، الكتاب الخامس، مرجع سابق ١٦٤ - ٢١٢، دليل الباحث فى التربية الإسلامية، مرجع سابق (تحت الطبع).

المناهج الدراسية والجامعية وفق خطة مستقبلية محددة[1].

٩ - إعداد سلسلة من الكتب لتعليم لغة القرآن الكريم للمسلمين غير الناطقين بها، وكذا لتعليم الإسلام وتاريخه، كل ذلك باللغات المختلفة للشعوب الإسلامية، مع مراعاة الحاجات والظروف الخاصة بالطلاب والمجتمعات الإسلامية المختلفة، حيث يعانى تعليم الإسلام واللغة العربية والتاريخ الرسلامى - فى كثير من تلك البلاد - من سوء المحتوى التعليمى، وطرق التدريس المتبعة وضعف إعداد المعلم.

١٠- إعداد سلسلة من الدراسات والبحوث حول المدارس والجامعات الإسلامية التى أنشئت حديثًا فى العالم الإسلامى وخارجه، مثل: مدارس المنار الإسلامية بالسعودية، ومدارس الأقصى بالأردن، ومدارس جمعية المقاصد الإسلامية بلبنان، والمدرسة الإسلامية بدبى (الإمارات العربية المتحدة)، ومدرسة الطلائع الإسلامية بالقاهر، والجامعة الإسلامية بماليزيا، وغيرها من المحاولات فى الهند وباكستان وبانجلاديش وماليزيا وجنوب إفريقيا وأوربا والأمريكتين... إلخ وتقييم العمل بتلك المؤسسات باستمرار، والعمل على تطويرها وتحسين الأداء بها[2].

---

(١) فى أهمية هذا الاتجاه انظر الباحث: «إسلامية الكتاب الجامعى فى الإدارة التربوية»، «دراسة العلوم التربوية من منظور إسلامى» **فى التربية الإسلامية رسالة ومسيرة**، مرجع سابق، ص ١٠٧ - ١٥٤.

(٢) نبه الباحث على أهمية هذا الموضوع فى دراسته: «نحو تربية إسلامية معاصرة: النظرية=

١١- إصدار مجلة تربوية إسلامية عالمية على مستوى أكاديمى رفيع، تتولى طرح القضايا التربوية الإسلامية، وتكون أداة تواصل بين الباحثين والمشتغلين بتلك القضايا على مستوى العالم الإسلامى كله.

١٢- عقد الدورات، ومنح الدراجات العلمية، وإعداد خبراء التربية الإسلامية الذين يحملون أمانة تحقيق أهداف المركز فى دول العالم العربى والإسلامى.

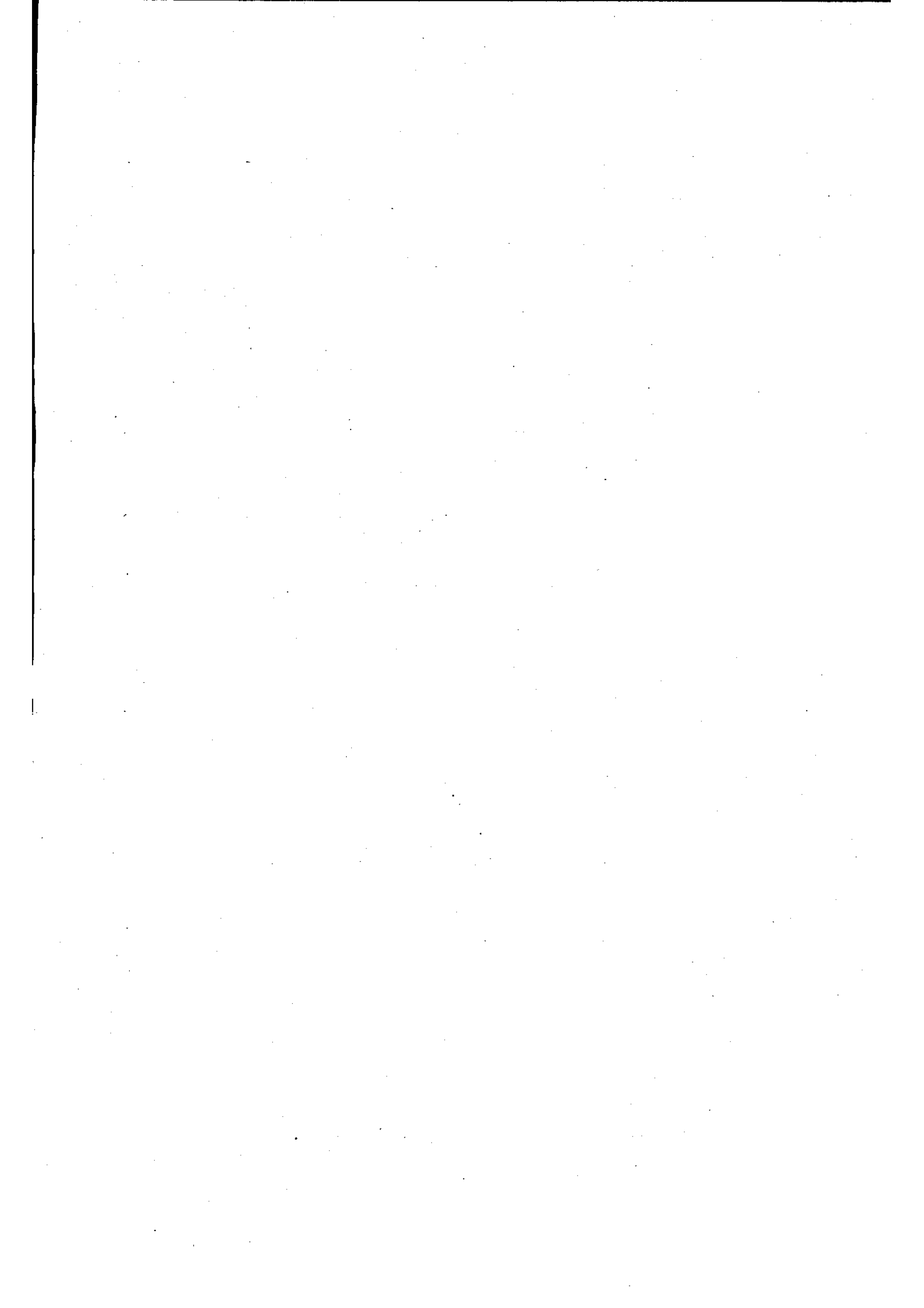
وبإيجاز، فإن هذا المركز العالمى للتربية الإسلامية سوف ينشغل بالكامل بقضية تربية الإنسان المسلم فى هذا العصر؛ ليكون كما أراد الله له أن يكون ﴿**خير أمة أخرجت للناس**﴾.

إن إيجاد هذا المركز العالمى للتربية الإسلامية وتوفير الموارد المالية والبشرية الكافية لحسن سيرة، وتفريغ مجموعة من علماء التربية الإسلامية لأداء مهام هذا المركز، يعتبر - فى نظرى - مطلبًا ضروريًا وأولوية هامة من أولويات نجاح العمل الإسلامى، وإن موارد الأمة الإسلامية المادية والبشرية، قادرة بالفعل على إيجاد هذا المركز كآلية ضرورية من آليات العمل الإسلامى الناجح. إن الحكومات الإسلامية لا تستطيع أن تعارض إنشاء مثل هذا المركز فى أحد العواصم العربية أو الإسلامية، كذا فإن الشعوب

= والتطبيق»» **فى التربية الإسلامية رسالة ومسيرة**، نفس المرجع ص ٥٥ - ٧٨، حيث تناول مدارس منارات المدينة المنورة، والمدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بدبى (الإمارات العربية المتحدة) كنماذج للمدارس الإسلامية التى تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتقويم.

الإسلامية قادرة وراغبة فى إيجاد مثل هذا المركز إذا دعيت لذلك دعوة عالمية مخلصة، ولعل الأزهر ـ بما له من مكانة عالمية ـ ورابطة الجامعات الإسلامية ـ بما لها من منزلة علمية ـ أن يأخذا بزمام المبادرة فى هذا الأمر، من حيث الدعوة إليه، والاشتراك فى الإشراف عليه مستقبلاً؛ إدارة وتمويلاً، ولعل هذا المؤتمر أن يتبنى هذا المقترح كأحد توصيات، خدمة للعمل الإسلامى وللأمة الإسلامية جمعاء.

* * *



واجبات وأولويات البحث التربوى
الإسلامى المعاصر(*)

مقدمة :

منذ ما يقرب من ربع قرن، وصاحب تلك الورقة يدرك إدراكًا يزداد عمقًا وقوة مع مرور الزمن، أن تقدم تلك الأمة العربية الإسلامية - كنواة صلبة لأمة إسلامية ناهضة - إنما يدور -وجوداً وعدمًا - مع وجود تربية عربية متميزة بتلك الأمة، تربية تستمد روحها وفلسفتها وخصوصيتها من منابع رسالتها: القرآن والصحيح من السنة.

وعبر تاريخ طويل من عطاء تلك التربية العربية الإسلامية وازدهارها تارة، وعقمها وتخلفها تارة أخرى، كان حظ تلك الأمة الإسلامية من التقدم والتخلف، والقوة والضعف والوحدة والانقسام.

ولقد ظل هذا الإدراك يقوى وينمو ويشتد بالقراءة والاطلاع والتفكير والتأمل خلال تلك السنوات الطوال، حتى أصبح عقيدة راسخة، وقناعة قوية بأنه لا نهضة لتلك الأمة العربية الإسلامية، إلا من خلال ثورة تربوية، تعيد تلك الأمة لتربيتها العربية الإسلامية الصحيحة. ولقد نمى وتطور مع

(*) بحث مقدم لمؤتمر «تطوير التربية الإسلامية فى مراحل التعليم العام فى الوطن العربى» جامعة الأزهر، مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامى، ١٨، ١٩ إبريل ١٩٩٥م.

تلك القناعة قناعة أخرى بأن إيجاد تلك التربية العربية الإسلامية ليست ضرورة حتمية لبعث تلك الأمة العربية الإسلامية، بل هو أيضا ضرورة إنسانية لإنقاذ الحضارة الإنسانية المعاصرة من سيطرة واستعلاء الحضارة الغربية السائدة، التى تهدد الوجود الإنسانى كله بالدمار وسيطرة القوة العسكرية والمنفعة والأنانية[1].

وبناءً على ذلك كله، فقد أصبح من واجب الإسلاميين - عامة - والتربويين منهم خاصة - أن يعطوا الإصلاح التربوى أولوية مطلقة كضرورة لنجاح أى نهضة عربية إسلامية مرتقبة.

ولما كانت السنوات الأخيرة قد شاهدت ارهاصات ميلاد فكر تربوى إسلامى، ظهرت بوادره فيما يسمى برسائل وبحوث التربية الإسلامية، والمؤتمرات العالمية الخمسة التى عقدت حول التربية الإسلامية، وأخيراً ظهور جيل من أساتذة التربية يتخصصون فى رسائل الماجستير والدكتوراه،

---

(١) يراجع فى ذلك عبد الرحمن النقيب: تجربتى فى مجال البحث التربوى الإسلامى: من أوراق الدورة التدريبية الأولى للباحثين فى التربية الإسلامية، التى عقدها المعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة، الفترة من ٢٤ - ٢٦ يناير ١٩٩٥م، «عودة إلى البحث فى التربية الإسلامية والنظام العالمى الجديد» ، من بحوث مؤتمر مصر والنظام العالمى الجديد، الذى نظمه نادى أعضاء هيئة التدريس بجامعة أسيوط، الفترة من ٢٦ - ٢٨ مارس ١٩٩٥م، «أولوية الإصلاح التربوى لنجاح العمل الإسلامى» من بحوث المؤتمر الدولى: العمل الإسلامى: الواقع والمستقبل، الذى عقدته جامعة الأزهر بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية بمركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامى، القاهرة، الفترة من ٥ - ٨ ذى القعدة الموافق ١٦ - ١٨ إبريل ١٩٩٤م.

بل وبحوث الترقية فى مجال التربية الإسلامية، أصبحنا أمام ظاهرة واقعية فرضت نفسها على مجال التربية فى عالمنا العربى والإسلامى، وتلك الظاهرة هى ظاهرة وجود أعداد لا بأس بها من الباحثين وطلاب الدراسات العليا، الذين تخصصوا بالفعل فى مجال التربية الإسلامية، ومن المفروض أن عطاءهم الأكاديمى وإنتاجهم العلمى سيكون – مستقبلاً – فى خدمة هذا المجال: مجال التربية الإسلامية.

وحتى لا تتبدد طاقات هذا النفر القليل الذين تخصصوا فى مجال البحث فى التربية الإسلامية، وحتى يمكن الاستفادة من جهد هؤلاء الدارسين والباحثين وأمثالهم مستقبلاً بأقصى درجة ممكنة، كان لابد من محاولة وضع تصور مبدئى لواجبات وأولويات عمل الباحثين والدارسين فى هذا المجال،واضعين فى الاعتبار أن هذه مجرد محاولة فردية قابلة للنقاش والحوار والتعديل والحذف والإضافة، وفق ظروف الباحثين وإمكانياتهم وقدراتهم الخاصة، فما قد يراه البعض واجبًا وأولوية، قد يراه الآخر نافلة أو ذا أهمية ثانوية. ولكن يبقى هناك هامش للاتفاق عليه، وهو أن جهود هؤلاء النفر القليل لابد أن تكون مخططة وموجهة، وألا تُتْرك للنزعات الفردية، ولمجرد بحوث الضرورة أو بحوث الظروف والمناسبات.

كذلك ينبغى أن يتفق هؤلاء الدارسون والباحثون على أن هدفهم من الدراسة والبحث ليس مجرد الدراسة والبحث، أو حتى نيل الدرجات العلمية، بل ينبغى أن يكون الهدف بجوار ذلك وقبل ذلك خدمة المجال

التـربوى، والواقع التـربوى المعـاش، والاقـتـراب بهـذا الواقع التـربوى من النمـوذج التربوى الإسـلامى كـمـا ينبـغى أن يكون. ولذلك فإن البحث التربوى الإسلامى لا ينبغى أن يكون بحثًا تنظيريًا فقط، بل عليه أن يكون بحثًا تنظيريًا وبحثًا تطبيقيًا فى نفس الوقت، أو على الأقل ألا يغلب عليه جانب التنظير كما هو حادث حاليًا ، بل لابد أن ينزل إلى أرض الواقع، ويكون بحثا يغلب عليه التطبيق، ونزعة تغيير الواقع وتحسينه وتوجيهه، إذ التنظير بدون تطبيق يصبح كلاماً أجوف، والتطبيق بدون تنظير يصبح عملا مرتجلا، وخير البحوث ما كانت بحوث تنظير فى خدمة التطبيق، أو بحوث تطبيق لما وصل إليه التنظير، وهذا ما يجب التنويه به فى بحوث التربية الإسلامية مستقبلاً.

ورغم أن الفصل بين بحوث التنظير وبحوث التطبيق ليس فصلاً تامًا، كما سيتضح فيما بعد، إلا أننا سنحاول أن نورد هنا - على سبيل الإيجاز الشديد - ما نرى أنه واجبات أو أولويات للبحث التربوى الإسلامى فى مجال التنظير، ثم واجبات وأولويات البحث التربوى الإسلامى فى مجال التطبيق. وسنورد تلك الواجبات والأولويات كما ترد إلى الخاطر، دون ترتيب منطقى ملزم، تاركين المجال لكل باحث أن يعيد ترتيب تلك الواجبات والأولويات لنفسه وفق ظروفه وإمكانياته وفقهه للأولويات الشرعية من وجهة نظره وحاجة مجتمعه.

أولاً: واجبات وأولويات البحث التربوى الإسلامى فى مجال التنظير :

١- دراسة ما تم إنجازه حتى الآن فى حقل التربية الإسلامية على مستوى التنظير، وهو كَمٌّ كبير إلى حد ما، فلدينا الآن مئات الرسائل: الماجستير والدكتوراه على مستوى الجامعات العربية[١]، فضلا عن الجامعات الإسلامية، ولدينا حصاد مؤتمرات عالمية خمسة أو ستة فى التربية الإسلامية، يضاف إلى ذلك كم لا بأس به من المؤلفات والكتب التى تناولت الموضوع[٢]، وهذا الكم الكبير فى حاجة إلى دراسة لمعرفة تطور المعرفة فى حقل التربية الإسلامية، وما هى الموضوعات التى درست، والموضوعات التى لم تدرس بعد، وهل ما تم دراسته درس بمنهجية علمية صارمة أو درس دراسة علمية منقوصة؟ وهل تطور أسلوب التناول العلمى لموضوعات التربية الإسلامية وازداد حجم الجسم المعرفى لهذا المجال؟ وهل تطورت المنهجية العلمية المستخدمة فى هذا المجال؟ وهل غطت بحوث التربية الإسلامية كافة مجالات البحث فى التربية أو اقتصرت على بعض المجالات؟

---

(١) انظر: عبد الرحمن النقيب: دليل مستخلصات الرسائل الجامعية فى التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، الأردن، ١٩٩٣م، عبد الرحمن صالح دليل الباحثين فى التربية الإسلامية فى الأردن، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، الأردن، ١٩٩٣ م ومازلنا فى حاجة إلى دليل مستخلصات لتلك الرسائل على مستوى العالم العربى والإسلامى.

(٢) على خليل أبو العينين: «دراسة تحليلية لبعض كتابات ودراسات التربية الإسلامية» من أوراق الدورة التدريبية الأولى للباحثين فى التربية الإسلامية.

ورغم أن الباحث وسواه لهم محاولات فى هذا المجال: دراسة ما تم إنجازه على مستوى رسائل الماچستير والدكتوراه بالجامعات المصرية والسعودية[1]، إلا أن الأمر مازال فى حاجة إلى كثير من الدراسات التقويمية لهذا الإنتاج: أهدافه، موضوعاته، منهجيته العلمية، مدى اتصاله بالواقع، وقدرته على إحداث الإصلاح التربوى الإسلامى المنشود.

٢- محاولة إيجاد وبلورة فلسفة تربوية إسلامية متكاملة؛ ذلك أن الفلسفة التربوية هى التى توجه العمل التربوى وترشده، ورغم وجود كتابات عديدة، ودراسات تتناول جزئيات تكوين تلك الفلسفة: الطبيعة الإنسانية فى القرآن والسنة، الأخلاق فى القرآن والسنة، المعرفة فى القرآن والسنة، ومعظم هذه العناوين عناوين رسائل جامعية فى التربية الإسلامية[2]، إلا أن تلك الموضوعات مازالت تحتاج إلى كثير من

---

(١) عبد الرحمن النقيب: «البحث التربوى فى الجامعات المصرية والسعودية، دراسة تحليلية ناقدة»، من أوراق الدورة التدريبية الأولى للباحثين فى التربية الإسلامية مرجع سابق، أشرف محمد عبد المنعم: البحث العلمى فى التربية الإسلامية بالجامعات المصرية دراسة وصفية تقويمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة المنصورة، ١٩٩٤م، فتحية محمد بشير الغزالى: معايير البحث العلمى فى التربية الإسلامية دراسة وصفية تقويمية لبعض رسائل التربية الإسلامية بالجامعات السعودية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة الملك عبد العزيز، المدينة المنورة، ١٩٩١م. والرسالتان تحت إشراف الباحث.

(٢) عبد الرحمن النقيب: دليل مستخلصات الرسائل الجامعية فى التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية، مرجع سابق.

العمق فى الدراسة، والاستفادة من الفكر التربوى الإسلامى والعالمى، مع تنزيل ذلك على واقع الأمة العربية والإسلامية لمعرفة كيف يمكن تطبيق تلك الفلسفة التربوية الإسلامية على واقعنا التربوى المعاصر، وأعتقد أنه فى غيبة فلسفة تربوية إسلامية محددة وواضحة، فسوف تظل كثير من جهودنا التربوية عرضة للتناقض والسطحية وعدم الفاعلية التربوية، مما يجعل البحث في هذا المجال مهمًا وضرورياً فى تلك المرحلة بالذات.

٣ - كتابة تاريخنا التربوى الإسلامى كاملاً، ودراسة كل ما يتصل بهذا التاريخ من أهداف ومؤسسات ومناهج وطرق تدريس وتمويل وإدارة... الخ، وكيف حاولت التربية الإسلامية عبر العصورالمختلفة أن تربى إنسان القرآن والسنة؟ متى نجحت تلك التربية؟ ومتى فشلت؟ وما أسباب نجاحها وفشلها؟ ومن هم أهم أعلامها؟ ونحن إذ نرى أهمية دراسة هذا التاريخ التربوى الإسلامى، ابتداءًمن عصر الرسول ﷺ وحتى اليوم، فنحن لا ندرسه لمجرد الإمتاع والمؤانسة، أو لمجرد المعرفة التاريخية، وإنما ندرسه للتأمل والعبرة والاستفادة منه، فى بناء تربيتنا العربية الإسلامية المعاصرة.

ورغم أن هناك كتابات ودراسات عديدة قد كتبت بالفعل فى تاريخ التربية الإسلامية، إلا أن ما كتب حتى الآن مازال لا يغطى إلا فترات قصيرة من عمر تاريخنا التربوى الطويل، كما أن معظمها للأسف

يركز على فترات تاريخية محددة، ويكرر بعضه بعضا، ولا يلتزم بالمنهجية التاريخية المتعمقة[1]، مما يترك المجال فى حاجة إلى مزيد من البحوث والدراسات التربوية التاريخية، إلى أن يصبح لنا تاريخنا التربوى المكتوب والمدروس والمقروء.

٤ - أسلمة العلوم والمعارف، كيف تكون من الناحية النظرية؟ هل تكون الأسلمة بالاعتماد على القرآن والسنة والتراث فقط دون الانتفاع بالعطاء الإنسانى العالمى؟ أو بالاعتماد على ذلك كله وتجاوزه وإنتاج علوم ومعارف مناسبة لواقعنا وعصرنا؟ وكيف يحدث ذلك فى كافة العلوم الاجتماعية والإنسانية والكونية؟ وهل أسلمة العلوم والمعارف تتعارض مع الموضوعية العلمية؟ بل ما حدود الموضوعية العلمية؟ وكيف تتم الأسلمة بالذات فى مجال العلوم التربوية: التربية بفروعها المختلفة، وعلم النفس بفروعه المختلفة، والمناهج وطرق التدريس بفروعها المختلفة؟ وما الخطورة من بقاء تلك العلوم فى صيغتها العلمانية الحالية؟ وتقويم محاولات الأسلمة التى تمت حتى الآن، ودراسة متطلبات الأسلمة، وعوائقها، وكيف يمكن تخطى تلك العقبات، ومواصفات وتكوين الباحثين والدارسين فى مجال الأسلمة[2].

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) عبد الرحمن النقيب: «دراسة للعلوم التربوية من منظور إسلامى»، «إسلامية الكتاب الجامعى فى الإدارة التربوية» فى التربية الإسلامية رسالة ومسيرة، دار الفكر العربى القاهرة، ١٩٩٠م.

٥ - التعليم فى دول العالم الإسلامى، إذ لا توجد حتى الآن حسب علم الباحث سلسلة دراسات متعمقة عن التعليم فى دول العالم الإسلامى مثل إيران وتركيا وباكستان وأندونيسيا وماليزيا... إلخ، حتى إن كثيراً من الدارسين والباحثين فى مجال التربية يكادون أن يجهلوا الكثير عن التعليم فى تلك الدول الإسلامية، وحتى إن الباحث وهو بدرجة أستاذ عندما ذهب أستاذاً زائراً للجامعة الإسلامية بماليزيا منذ ثلاثة أعوام سابقة، فإنه بدأ يقرأ لأول مرة عن التعليم فى ماليزيا، ووجد صعوبة فى الحصول على تلك المعلومات قبل سفره إلى ماليزيا، هذا رغم أن الباحث يعتبر من المهتمين أصلاً بالتربية الإسلامية. وإذا كان هذا حاله فماذا عن الآخرين؟ وخطورة ذلك فضلا عن الجهل بالعالم الإسلامى وواقعه التربوى المعاصر، عدم الإدراك لوحدة المشاكل التربوية التى تواجه دول العالم الإسلامى، ووحدة التاريخ التربوى الذى مرت به، ووحدة المواجهة الحاسمة بين محاولات تغريبها ومحاولات الحفاظ على هويتها الإسلامية من خلال التعليم بمؤسساته المختلفة. إن طلابنا فى كليات التربية - للأسف الشديد - يعرفون عن التعليم فى أوربا وأمريكا أكثر من معرفتهم عن التعليم فى دول العالم الإسلامى، والكتب والمراجع فى مكتباتنا التربوية عن التعليم فى أوربا وأمريكا أكثر من تلك التى تتحدث عن التعليم فى دول العالم الإسلامى بصورة مذهلة. وهذا ماينبغى أن نحاول تغييره بتوجيه كثير من طلابنا وأبحاثنا إلى دراسة التعليم فى دول العالم الإسلامى المختلفة،

بحيث نثرى المكتبة التربوية بتلك الكتابات والدراسات[1].

٦ - تعليم الأقليات المسلمة فى العالم: ذلك أن لنا ملايين من الأقليات المسلمة فى قارات أوربا وأمريكا واسيا وإفريقيا واستراليا، ولا نكاد نعرف عنهم شيئا. وإنه لأمر مخجل أن نتجاهل أو نجهل تلك الأقليات، وما تتعرض له من محاولات لتذويبها فى مجتمعات الأغلبية حتى تنسى دينها وانتماءها الإسلامى، ولا نكاد نسمع عن تلك الأقليات إلا عندما تحدث لهم كارثة. وفى الوقت الذى ترعى فيه إسرائيل الأقلية اليهودية فى كل مكان فى العالم، وتستفيد من تلك الأقليات لصالح إسرائيل، وتهتم بالذات بالتربية اليهودية واللغة العبرية والتاريخ العبرى لكل يهودى فى العالم وتعتبر ذلك واجبًا دينيًا، نجد التجاهل شبه الكامل منا لدراسة أحوال تلك الأقليات المسلمة، وبخاصة التربوية. وهذا مجال تندر الدراسة فيه حتى الآن حيث لا توجد سوى ثلاث

---

(١) ظهرت حالياً سلسلة النظم التعليمية فى الدول الإسلامية لمجموعة من الباحثين تشمل:
- نظام التعليم فى افغانستان، محمد شحات الخطيب، دار الخريجى للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٢م.
- نظام التعليم فى باكستان، محمد شحات الخطيب، دار الخريجى للنشر والتوزيع، الرياض ١٩٩٢م.
- نظام التعليم فى تركيا، مصطفى محمد متولى، دار الخريجى للنشر والتوزيع، الرياض ١٩٩٢م.
- نظام التعليم فى ماليزيا، محروس غيان، تحت الطبع.

وآمل لتلك السلسلة أن تستمر، ولبحوثها القادمة أن تزداد توسعًا وعمقًا؛ لأنها بصورتها الحالية مجرد دراسات وصفية أولية فى هذا الميدان الهام.

رسائل فقط من بين ٢٥٨ رسالة تضمنها دليل مستخلصات الرسائل الجامعية فى التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية[١]، مما يوضح مدى تقصيرنا فى دراسة هذا المجال. ولقد لمس الباحث بنفسه حاجة تلك الأقليات المسلمة إلى تعليم عربى وإسلامى مناسب، عندما كان طالبًا للدكتوراه في إنجلترا، ،عندما زار المسلمين فى ألمانيا وأمريكا فيما بعد، وشاهد بنفسه ما يفتقر إليه المسلمون هناك من رعاية تربوية، لو نجحنا فى تقديمها إليهم بالصورة الصحيحة فسوف نقوى صلتهم بالعروبة والإسلام، وهذا واجب إسلامى لابد أن يدفع الباحثين إلى ضرورة ارتياد هذا المجال الهام، دراسة وبحثًا وتخصصًا إذا لزم الأمر.

٧ - تعليم اللغة العربية والإسلامية لغير الناطقين بالعربية، وذلك لأن الغالبية العظمى من المسلمين هم من غير الناطقين بالعربية، وتقدم لهم اللغة العربية والإسلام والتاريخ الإسلامى بطريقة منفرة، تجعل تعلمها عملاً شاقًا. وبينما يطور الغرب أدواته التعليمية لتعليم حضارته ولغته والتبشير بالمسيحية بصورة تهدد المسلمين غير الناطقين بالعربية، نلمس الجمود والتحجر، بل والتخلف فى طريقة تقديمنا للعربية والإسلام لغير الناطقين بلغة القرآن، مما يفتح المجال بكرًا لدراسات تتناول مشكلات تعليم العربية والإسلام لغير الناطقين بالعربية، كيف

---

(١) **عبد الرحمن النقيب: دليل مستخلصات الرسائل الجامعية فى التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية،** مرجع سابق ص١٨٤، ٢٠٠، ٢٧٨.

يعد معلم اللغة العربية والإسلام لتلك المناطق؟ كيف تعد برامج وأنشطة تعليمية وتربوية مناسبة لهم؟ ما العوائق التى تحول بينهم وبين تعلم العربية والإسلام؟ كيف تتحول لغة القرآن إلى اللغة الاجنبية الأولى على الأقل فى حياة هؤلاء المسلمين؟ ماذا ينبغى أن نفعل فى هذا المجال؟

٨ - تقديم تصور نظرى كامل للمدرسة الإسلامية، كيف تكون من حيث المبنى والإدارة والتمويل والأنشطة والمناهج والسلم التعليمى والعلاقة بالبيئة المحيطة والمناخ التعليمى... إلخ؟ وقس على ذلك الجامعة الإسلامية: هل تكون جامعة للدراسات الشرعية فقط، أو جامعة لكل العلوم ومنها العلوم الشرعية؟ هل الازدواج التعليمى على مستوى المدارس والجامعات أمر مقبول أم مرفوض؟ وكيف يزول هذا الازدواج التعليمى؟ هل يكون التمويل حكوميًا أو شعبيًا؟ كيف تكون الإدارة إسلامية؟ هل يكون التعليم مفتوحًا؟ هل يكون التعليم صفيا أو غير صفى؟ ومئات الأسئلة الأخرى التى تحتاج إلى إجابات علمية ودراسات مختلفة لتقديم تصورات لبدائل إسلامية للمدرسة والجامعة الحاليتين اللتين فشلتا فى تربية أجيال قادرة على تجاوز الأزمة التى تمر بها الأمة العربية والإسلامية، ولا يستطيع أحد أن يلوم الشعوب والحكومات إذا أخذت المدرسة والجامعة ذات النمط الأوربى حيث لم يستطع الإسلاميون التربويون بالفعل أن يقدموا - ولو على المستوى النظرى - البديل الإسلامى للمدرسة والجامعة كيف

تكونان، بحيث يكون هذا البديل الإسلامى بالفعل أكثر فاعلية وأكثر تلبية لحاجات الأمة، وأنا أعتبر هذا تحدياً علمياً حقيقياً للباحثين والدارسين فى حقل التربية الإسلامية، ولابد أن ينشغل فريق منهم فى المرحلة القادمة بمحاولة إيجاد التصور النظرى الواضح للمدرسة الإسلامية والجامعة الإسلامية كيف تكونان، بحيث تكونان قادرتين على تلبية كل حاجاتنا التربوية والحضارية.

٩ - ويتصل بالنقطة السابقة وضع تصور نظرى على الأقل لكلية التربية بالذات كيف تكون، وذلك للأهمية القصوى لكليات التربية فى إخراج المعلمين الذين سيربون أجيال الأمة، كيف يختار طلاب تلك الكليات؟ ما معايير وأسس هذا الاختيار؟ كيف يعد أستاذ تلك الكليات؟ وكيف تكون المناهج والأنشطة؟ مع تقويم الكليات التربوية المعاصرة الموجودة بالعالم العربى والإسلامى، والتى فشلت بدرجات متفاوتة حتى الآن فى إعداد أجيال المعلمين القادرين على إحداث النهضة الإسلامية الشاملة، بل ودراسة التجرية الإسلامية والعالمية فى هذا المجال، وكيف يمكن الاستفادة من ذلك كله فى إيجاد الكلية التربوية الإسلامية النموذجية التى تخرج لنا المعلم المنشود؟

١٠ - كما يتصل بالنقطة السابقة أيضا - وإلى أن يزول الازدواج التعليمى فى عالمنا العربى والإسلامى بين جامعات علمانية حديثة، وجامعات العلوم الشرعية - دراسة الأوضاع الحالية لجامعات العلوم

الشرعية على مستوى العالم، ووضع تصور نظرى على الأقل لتلك الجامعات، خاصة فى الدول غير الناطقة بالعربية. إن أحوال جامعات العلوم الشرعية متردية فى معظمها، ودون المستوى اللائق بها بكثير. وحيث إن تلك الجامعات بالذات هى قلاع الإسلام الحصينة حتى الآن، فهى تحتاج إلى مزيد من التحديث والتطوير والرعاية؛ حتى تؤدى رسالتها الإسلامية، ومما يؤسف له، أن بعض تلك الجامعات وبخاصة فى الدول غير الناطقة بالعربية غير مؤهلة، ومن ثم غير قادرة على تقديم العربية والإسلام بصورة لائقة، وبعضها يسىء إلى العربية والإسلام، مما يؤكد الحاجة إلى مزيد من الدراسات والبحوث لتلك الجامعات وأوضاعها الحالية وكيف تكون مستقبلاً. لقد وصل الأمر كما يقول أحد الدارسين إلى أن بعض تلك الجامعات بالفعل تدار بأشخاص معارين للثقافة الإسلامية، بل وأحياناً يكونون غير مسلمين أصلاً، وأن المنح التى تصل لتلك الجامعات لا سيما من البلاد العربية تعطى للمسيحيين ويحرم منها المسلمون، ومعظمها تعانى ظروفًا مادية صعبة[١]، وبإيجاز، فمعظم تلك الجامعات تحتاج إلى دراسات تقويمية، بجوار دراسات تنظيرية لجامعة العلوم الشرعية كيف تكون، وكذلك أيضا دراسة معاهد العلوم الشرعية التى تقدم التعليم الدينى

---

(١) تعتبر دراسة محمد خياط: الجامعات الإسلامية دراسة مسحية تحليلية تقييمية، رابطة الجامعات الإسلامية، الرياض، ١٩٩٤م، من الدراسات الرائدة فى هذا الاتجاه، وهى =

قبل الجامعى. ولما كانت تلك المعاهد الشرعية هى المحاضن الحالية لطلاب العلوم الشرعية، فهى أيضا تحتاج إلى مزيد من الدراسات على مستوى العالم العربى والإسلامى، مع تقديم تصور نظرى واضح لكيف تكون تلك المعاهد من حيث: المبنى والمناهج والأهداف والمناخ التعليمى والتمويل والإدارة... إلخ. وكل هذه مجالات لم تطرقها بحوث التربية الإسلامية بعمق إلا نادراً[1].

١١ - كما يتصل بالنقطة السابقة - أيضًا - دراسة مكثفة للمناهج الدراسية المختلفة للعلوم الشرعية فى جميع مراحل التعليم؛ ذلك لأن تلك المناهج بالذات هى أقل المناهج الدراسية تعرضًا للغزو الثقافى، وأكثر المناهج حاليًا قدرة على الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، فى وقت تتعرض فيه أمتنا العربية لخطر اقتلاعها من جذورها العربية والإسلامية، واحتوائها فى ثقافة غربية شرق أوسطية. ما مدى مناسبة

= تكشف الكثير من الأوضاع السيئة لتلك الجامعات، خاصة فى الدول الناطقة بغير العربية، ولكنها فى معظمها مجرد دراسة وصفية تفتقر إلى التقويم والتحليل وانظر أيضا الباحث :

A. Elnakib : The educational Reform of Al - Azhar 1872 - 1972, ph. D Thes is, Exeter university, England, 1980.

(١) هناك بعض الدراسات التى تعرضت لبعض تلك المعاهد الشرعية، ولكنها دراسات اكتفت فى معظمها بالوصف ونادراً ما تعمقت فى التحليل والتقييم لافتقارها للإطار النظرى الإسلامى الواضح. راجع **دليل مستخلصات الرسائل الجامعية فى التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية**، مرجع سابق.

تلك المناهج الشرعية لأهداف النهضة العربية الإسلامية؟ ما مدى قدرة تلك المناهج على إكساب التلاميذ الهوية العربية الإسلامية؟ ما الأنشطة المصاحبة لتلك المناهج؟ ما العوامل المساعدة على نجاحها؟ ما صفات المعلم القادر على تدريسها؟ كيف تصبح تلك المناهج أداة لتحقيق انتمائنا العربى الإسلامى؟ ورغم أن هناك دراسات عديدة قد تناولت هذا الموضوع[1] إلا أن معظمها قد افتقر إلى التصورالإسلامى الواضح الذى يحكم تلك الدراسات، والذى على ضوئه يكون التحليل والتقييم لتلك المناهج المقررة على طلابنا فى جميع مراحل التعليم. ولعل مما يلفت النظر غياب الدراسات حول مناهج العلوم الشرعية التى تدرس للأقليات المسلمة فى العالم، وكذا للمسلمين غير الناطقين بالعربية إلا فيما ندر.

١٢ - ثم هناك الحاجة إلى دراسات فى تحقيق ونشر دراسة تراثنا التربوى والنفسى الإسلامى عبر العصور، ووضع قوائم بالمصطلحات والمفاهيم التربوية والنفسية، وعمل دراسات حول تطور تلك المصطلحات والمفاهيم عبر عصورنا الإسلامية الزاهرة. كل ذلك حتى يزداد الباحثون فى التربية الإسلامية دراية بهذا التراث، وكيفية التعامل معه، والاستفادة منه[2] وربما كانت الحاجة أشد للقيام بمثل تلك

---

(١) نفس المرجع.

(٢) للمعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة مجهود طيب فى هذا الصدد هو : دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية فى التراث، ثلاثة مجلدات، القاهرة، ١٩٩٢م، ومازالت =

الدراسات حول تلك المصطلحات والمفاهيم التربوية فى القرآن والسنة حتى نيسّر للدارسين والباحثين استيعاب تلك المصطلحات والمفاهيم التربوية الإسلامية والمتعلقة بمجال دراساتهم المختلفة.

١٣ - وأخيراً، تأتى أهمية الدراسات المنهجية التى تتناول مناهج البحث عند علماء التربية المسلمين عبر العصور، ثم مناهج البحث المستخدمة فى بحوث التربية الإسلامية الحالية، مع محاولة وضع تصور نظرى وتطبيقى لمنهجية إسلامية مغايرة للمنهجية الوضعية السائدة، منهجية إسلامية مغايرة تجمع بين الصرامة والدقة العلمية، وبين الإطار النظرى الإسلامى المستمد من القرآن والسنة. ومازال هذا المجال بكراً، يحتاج إلى الكثير من الدراسات والبحوث[١].

ثانيًا : واجبات وأولويات البحث التربوى الإسلامى فى مجال التطبيق :

انطلاقًا من إيمان الباحث بأن كل بحث نظرى لابد أن تكون له غاية تطبيقية، وأن الإسلام لا يرضى بالقول دون العمل، فإن الباحثين فى التربية الإسلامية يخطئون كثيراً عندما يكتفون بالبحوث النظرية، ويدعون

= الحاجة ماسة لمثل تلك المفاهيم فى القرآن والسنة، بجوار المفاهيم التربوية فى التراث، مثلها فى القرآن والسنة.

(١) عبد الرحمن النقيب: «نماذج من مناهج البحث التربوى عند المسلمين»، «نحو منهجية علمية فى البحث التربوى الإسلامى المعاصر» فى التربية الإسلامية رسالة ومسيرة، مرجع سابق.

جانبًا البحوث التطبيقية. ولعل الغالبية العظمى من بحوث الدارسين فى مجال التربية الإسلامية حتى الآن إنما يقع فى مجال التنظير دون التطبيق، ومن هنا نؤكد على ضرورة الاشتغال أكثر فى المرحلة القادمة ببحوث التطبيق. وسنذكر هنا بعض المجالات التى يمكن أن توجه لها بحوث المرحلة القادمة:

أ - بحوث عملية حول المدارس الإسلامية الحالية، وكيف نطور أداءها، ونرفع من مستوى طلابها، وجعلها أكثر اتصالاً وخدمة لمجتمعاتها، على أن يكون الهدف إيجاد المدرسة الإسلامية النموذجية، ولو مدرسة واحدة فى أى مكان فى العالم العربى أو الإسلامى يمكن أن نقول عنها بحق: هذه مدرسة إسلامية نموذجية؛ ذلك لأن الحديث عن المدرسة الإسلامية مهما كان حلوا يظل حديثًا نظريًا، لا يكاد يقنع الآخرين حتى يتمثل فى مدرسة واقعية يراها الناس.

ب - ويتصل بذلك أيضا وجود الجامعة الإسلامية النموذج فى أى مكان فى العالم الإسلامى وهى تلك الجامعة التى يرى فيها روح الإسلام: طلابًا ومعلمين، وإدارة ومناهج، ومناخًا تعليميًا... إلخ. الجامعة التى لا تفصل بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية، بل تكون جامعة لكل العلوم، وتكون كل العلوم ممزوجة بروح الإسلام. إن جميع محاولات الإصلاح الجامعى فى عالمنا العربى والإسلامى - حتى الآن - لم يستطع - أو حتى لم ترد - أن ترتفع إلى هذا المستوى: مستوى

الجامعة الإسلامية الواحدة الموحدة، وربما كانت تجربة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا من التجارب الرائدة فى هذا المجال.

جـ - ويتصل بذلك أيضا وجود كلية التربية الإسلامية النموذج. وقد أفردت لها حديثًا خاصاً بعد الحديث عن الجامعة الإسلامية النموذج، رغم أنها جزء منها، وذلك إيمانًا من الباحث بأهمية وجود نوعية خاصة من المعلمين فى تلك المرحلة بالذات من عمر أمتنا العربية والإسلامية، وكذلك أهمية إيجاد الخبير التربوى الإسلامى الذى يرعى عملية التحول والتغيير التربوى من العلمانية إلى الإسلام. هذا كله يحتاج إلى نوعية خاصة من كليات التربية، ونوعية خاصة من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، والمناهج والمبانى والأنشطة والمناخ التربوى... إلخ. وما لم نستطع النجاح فى إيجاد تلك الكلية التربوية النموذج، فإن الكثير من كتاباتنا وبحوثنا حول التربية الإسلامية ستظل دون الآمال المعقودة عليها بكثير[1].

د - ويتصل بتلك النقطة أيضًا إعادة كتابة جميع المقررات والمناهج من منظور إسلامى: إسلامية العلوم والمعارف؛ ذلك أن المدارس الإسلامية والجامعات الإسلامية لن تكون كذلك حقًا، إلا بمناهج وعلوم ودراسات أعيد صياغتها صياغة إسلامية، ومن ثم، فإن أكبر جهد

---

(١) عبد الرحمن النقيب: «مشروع إنشاء المعهد العالمى للتربية الإسلامية» فى التربية الإسلامية رسالة ومسيرة، مرجع سابق، ص ٢٢٣ وما بعدها.

للباحثين والدارسين فى المرحلة القادمة لابد أن يوجه لأسلمة العلوم الإنسانية والكونية معًا. ولا أدرى ما المانع فى أن يحصل طالب الماچستير والدكتوراه فى كلياتنا فى الدرجة العلمية فى التخصص عندمايقدم مؤلفًا فى التخصص ينقد فيه المكتوب حاليًا من منظور علمانى، ويقدم له البديل المكتوب من منظور إسلامى، مثلاً: نقد كتب أصول التربية الموجودة حاليًا والمكتوبة غالبًا من منظور علمانى، وتقديم مؤلف فى أصول التربية من منظور إسلامى. وقس على ذلك سائر المواد التربوية وغير التربوية. لقد آن الأوان أن نكف عن مجرد الحديث النظرى عن أسلمة العلوم والمعارف، بل ونقد المناهج الحالية لأنها علمانية، أو لأنها محملة بغزو ثقافى معين، وأن جهة خارجية معينة تسعى لتغريب المناهج فى بلادنا، أقول: آن الأوان ألا نكتفى بهذا الحديث النظرى فقط، وننتقل إلى مرحلة الإنتاج العلمى، وتقديم العلوم والمعارف من منظور إسلامى.

هـ - ويتصل بذلك أيضاً تصميم وتجريب مناهج فاعلة فى العلوم الشرعية تجمع مراحل التعليم، وكذلك فى تعليم اللغة العربية والإسلام والتاريخ الإسلامى للأقليات وللمسلمين الناطقين بغير العربية، وتطوير تلك البرامج وتحسينها؛ حتى تحدث آثارها المرجوة منها، بحيث تكون دعامة قوية فى توحيد تلك الأمة العربية الواحدة كنواة صلبة لتوحيد الأمة الإسلامية الكبرى، والحفاظ على الهوية الإسلامية لجميع

الأقليات المسلمة فى العالم. لقد أتيح للباحث أن يزور بعض المعاهد العلمية والجامعات الشرعية بكلٍّ من أندونيسيا وماليزيا، ورأى كيف تدرس العربية والإسلام والتاريخ الإسلامى للمسلمين غير الناطقين بالعربية من خلال مناهج منفرة وبأساليب عبثية بالية، ولولا حب هؤلاء المسلمين الفطرى للإسلام لما تعلموا العربية أو الإسلام من خلال تلك المناهج العتيقة، ولما أبديت حزنى على وجود تلك الأوضاع التربوية المتردية. أفادنى زميل هناك - زار بعض المعاهد والجامعات الشرعية فى بعض دول إفريقيا الإسلامية غير الناطقة بالعربية - بأن الأوضاع هناك أكثر سوءا، مما يؤكد ضرورة توجيه كثير من جهودنا البحثية فى المرحلة القادمة لتقديم مناهج وطرق تدريس بديلة مناسبة لتعليم العربية والإسلام والحضارة الإسلامية لجميع المسلمين غير العرب فى العالم الإسلامى كله.

و - ويتصل بذلك أن نطور لأنفسنا اختبارات ومقاييس خاصة بنا، تقيس اتجاهاتنا الإسلامية، ومدى التزامنا الإسلامى، وميولنا وقدراتنا، وأن تكون تلك الأدوات والمقاييس مشبعة بالروح الإسلامى والثقافة الإسلامية. بدلاً من الاعتماد على وسائل القياس والتقويم الغربية عن ثقافتنا الإسلامية، على أن تترجم تلك الاختبارات والمقاييس إلى جميع اللغات الإسلامية حتى تكون جاهزة لاستخدامها فى شتى المدارس والجامعات الإسلامية على مستوى العالم الإسلامى كله[1].

(١) عبد الرحمن النقيب: مقياس الالتزام الإسلامى لدى الشباب الجامعى، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

ز - ويتصل بذلك ضرورة إيجاد آلية إسلامية عالمية لرعاية تلك الجهود البحثية وتنسيقها على مستوى العالم العربى والإسلامى، بحيث لا تتوزع الجهود أو تتكرر أو تبعثر، وتكون تلك الجهة العالمية مسئولة عن عقد الدورات التدريبية للباحثين فى التربية الإسلامية بقصد تحسين أدائهم العلمى، وعقد الندوات والمؤتمرات التربوية الإسلامية بصفة دورية لمناقشة القضايا التربوية الهامة المتصلة بالبعث الحضارى التربوى الإسلامى، كما تكون تلك المؤسسة مسئولة أيضاً عن إصدار مجلة تربوية إسلامية على مستوى أكاديمى عالمى، تتولى عملية نشر الفكر التربوى الإسلامى وذيوعه وتبادله بين الباحثين والدارسين، كما يمكنها أن تصدر دليلاً دورياً للباحثين والمهتمين بالتربية الإسلامية، والذى يحتوى على بياناتهم الإسلامية فيما بينهم، وكذلك إصدار دليل دورى بالدراسات والبحوث والرسائل الجامعية، التى كتبت فى التربية الإسلامية على المستوى العالمى كله، إلى غير ذلك من الأنشطة التى يمكن أن تمارسها تلك المؤسسة التربوية العالمية المقترحة[١].

وأخيراً فإن تلك الواجبات والأولويات كما أشار إليها الباحث بإيجاز، قد

---

(١) عقد المعهد العالمى للفكر التربوى الإسلامى بالقاهرة الدورة التدريبية الأولى للباحثين فى التربية الإسلامية، مرجع سابق. وكانت لشباب الباحثين فى التربية الإسلامية. وحسب علم الباحث فقد كانت هذه الدورة هى الدورة التدريبية الأولى من نوعها التى عقدت لمثل هذا الغرض. ويرى الباحث ضرورة أن تتكرر مثل هذه الدورة وأن تعمم مستقبلاً لحسن إعداد الباحثين فى التربية الإسلامية.

يحاول أن يقوم بها أو ببعضها الفرد الواحد، أو الثلة من الأفراد، أو الكلية الواحدة أو المجموعة من الكليات، كُلٌ حسب استعداداته ومقدار إيمانه بتلك الواجبات والأولويات. إلا أننى من المؤمنين بأن الصورة المثلى لأداء تلك الواجبات والأولويات أن تتبناها بالفعل إحدى الدول الإسلامية، وتجعله استراتيجيتها التربوية وسياستها التعليمية. فإن تعذر ذلك فأن تقوم جامعة من الجامعات الإسلامية بتبنى ضرورة تحقيق تلك الأولويات من خلال أعضاء هيئة تدريسها، فإن تعذر ذلك فلابد من السعى لإيجاد رابطة التربويين الإسلاميين، تكون لها لائحتها التأسيسية المنظمة لنشاطها، ومقرها الدائم الذى يتم الاتفاق عليه وعلى اللائحة التأسيسية فى مؤتمر تربوى إسلامى عالمى، يدعى إليه المهتمون بهذا الأمر، وقد يكون عنوانه: واجبات وأولويات العمل التربوى الإسلامى. على أن يكون لتلك الرابطة فروعها المختلفة فى شتى الدول العربية والإسلامية، وأن يكون تمويلها تمويلا شعبياً إسلامياً عالمياً. هذا، وبالله التوفيق(١).

* * *

---

(١) للأسف الشديد فقد ظهر المركز العالمى للتعليم الإسلامى بمكة عام ١٩٧٧م، على أمل أن يقوم بمثل هذا الدور، ثم حجبته غيوم الأقلية الضيقة عن القيام بمثل هذا الدور العالمى، ثم ظهرت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - أيسيسكو بالرباط عام ١٩٨٢م، ولكنها حتى الآن لم تستطع أن ترتفع إلى مستوى المسئولية الملقاة عليها، كما تأسس المعهد العالمى للفكر الإسلامى بأمريكا عام ١٩٨١م، وأصبحت له فروع عديدة فى بعض العواصم العربية والإسلامية. فهل يستطيع أن يقوم بهذا الدور؟.

الخطاب التربوى الإسلامى
فى مصر إلى أين ......؟(*)

الخطاب التربوى الإسلامى هو ذلك الخطاب المكتوب (المقروء) أو المسموع (الشفاهى)، الذى يتناول قضايا التربية والتعليم من منظور إسلامى، والذى يؤثر على العمل التربوى فى مجال التطبيق داخل العملية التعليمية والتربوية. ورغم أن مصر بلد إسلامى بحكم الدستور، وشعبها شعب مسلم فى غالبيته العظمى، فمازال الخطاب التربوى فى مصر يخوض معركة البقاء، فضلاً عن السيادة والقيادة والتوجيه داخل مجال التربية والتعليم فى مصر، خاصة على المستوى الرسمى، وعدم السيادة الكاملة للخطاب التربوى الإسلامى على المستوى الرسمى والشعبى سيظل من أخطر القضايا التى تستحق الدراسة والمناقشة والتأمل من المصريين عامة ومن التربويين خاصة.

وليس هذا مجال مناقشة أسباب عدم سيادة الخطاب التربوى فى مصر، إذ لا يخفى على الكثير منا الظروف التاريخية التى مرت بالأمة وأرغمت الإسلام على أن يترك مكان القيادة والتوجيه لكل شؤون الأمة السياسية

(*) أعدت تلك الورقة كمشاركة من الباحث فى ندوة: الخطاب التربوى لاإسلامى، التى عقدت على هامش المؤتمر السنوى الحادى عشر لقسم أصول التربية، جامعة المنصورة، يوم ٢٧، ٢٨ ديسمبر ١٩٩٤م، وكان عنوان المؤتمر: الخطاب التربوى فى مصر.

والاقتصادية والاجتماعية والاكتفاء بأن يكون مجرد عقيدة وعبادة وليس نظام دولة وثقافة وحضارة.

ورغم تلك الظروف التاريخية الصعبة لم يفقد الإسلام تعاليمه وقدرته على أن يكون مصدر إلهام ومحرك عقول تبحث عن هوية الإسلام وتعاليمه فى حقل التربية والتعليم، بحثًا عن الإجابات الإسلامية للأسئلة والمشكلات التربوية مثل: لماذا نربى؟ وما أهداف التربية من منظور إسلامى؟ هل نربى الإنسان ليكون مواطنًا مصرياً؟ أم مواطناً عربيًا؟ أم مواطنًا مسلمًا عالميًا يتمثل فى الإنسان الصالح العابد المستخلف فى الأرض؟ هذا الإنسان الصالح العابد المستخلف فى الأرض لابد أن يختلف قطعًا عن المواطن الذى يقتصر ولاؤه على الوطن، أو يكتفى بالانتماء للقومية الضيقة؟ الإنسان العابد لله الذى تحرر من عبودية ما سواه من البشر والأفكار والأيدولوجيات الوضعية القاصرة، الإنسان المستخلف عن الله فى الأرض ليملأها عمراناً وحباً وعدلاً وسلاماً؟ إنه بإيجاز إنسان القرآن والسنة والسعى بالوصول بالإنسان لأقصى كمال إنسانى ممكن حتى يكون بالفعل كما أراده الله أن يكون عبداً صالحاً مستخلفاً لله فى الأرض.

وهذا الإنسان قد وجد بالفعل فى عصر الرسول ﷺ، ووجد بالفعل فى عصر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ووجد بالفعل عبر التاريخ الإسلامى كله، وإن كان بدرجات متفاوتة من الكمال والاقتراب من الصورة المثلى للإنسان كما يريده الله ورسوله، بل هو يمكن أن يكون الآن وغداً وإلى أن

تقوم الساعة، حيثما وجدت التربية الإسلامية الصحيحة.

ولكى تتحقق أهداف التعليم والتربية كما يراها الإسلام، فلابد من إعادة صياغة محتوى التعليم ومناهجه؛ ليحتل القرآن والحديث مكانتهما من المنهج، ولتعاد صياغة العلوم والمعارف التى يدرسها صياغة إسلامية تزيد الطلاب معرفة بالله من خلال فهم القوانين المادية والاجتماعية التى تحرك الكون المادى والاجتماعى، ولكى يزداد الطالب علماً ومعرفة كلما ازداد علمًا بتلك القوانين التى هى أصلاً من فعل الله[1]، هذا فضلاً عن الاهتمام باللغة العربية وتاريخ الأمة الإسلامية وحاضرها ومستقبلها ومشكلاتها، وكيف تحل تلك المشكلات حلولاً إسلامية أصلية غير مستوردة من هنا أو هناك. إن طالب اليوم ـ للأسف الشديد ـ يهتم بلغة الغير أكثر من لغته، وتاريخ حضارة الغير أكثر من تاريخه وحضارته. ولا يكاد يعرف شيئًا عن مشكلات المسلمين فى فلسطين والهند والفلبين وكشمير وقاطنى إريتريا والاتحاد السوفيتى ـ سابقًا ـ وجنوب شرق آسيا، فضلاً عن أوروبا والأمريكتين . ولا يكاد يدرك أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، وهى غنية بثرواتها وأفرادها وإسلامها قادرة على الانبعاث والتحضر إذا عادت إلى ربها، فبالإسلام يمكن أن تكون من جديد[2].

---

(١) يراجع فى ذلك الباحث: نحو تربية إسلامية معاصرة: النظرية والتطبيق «رؤية نقدية للاتجاه التربوى الإسلامى المعاصر الفكر والتطبيق»، «دراسة العلوم التربوية من منظور إسلامى»، «إسلامية الكتاب الجامعى فى الإدارة التربوية» فى التربية الإسلامية رسالة ومسيرة، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٠م. ص ٢٩ – ٥٤.

(٢) عن مشكلات العالم الإسلامى المعاصر، انظر: جميل عبد الله المصرى: حاضر =

وإنسان القرآن والسنة لن يوجد فى هذا العصر مع وجود نسبة الأمية العالية بين المسلمين؛ إذ الأمية والإسلام ضدان متنافران، ويكفى أن أول سورة أنزلت فى القرآن هى سورة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) ﴾ [العلق: ١]، وأن العلم والتعليم ضرورة إسلامية ولابد أن تجند كل القوى والمؤسسات من أجل تعليم الأمة: المساجد والمدارس والمعاهد والمكتبات والتعليم النظامى وغير النظامى. على أن يعاد النظر فى هيكل التعليم وسلمه، بحيث يكون التعليم نظامًا مفتوحًا يسمح للطالب أن يتعلم ما يحب فى المكان الذى يحب وعلى الأستاذ الذى يحب. إن تجربة المسلمين فى التعليم المفتوح Open System الذى لا يتقيد بسن بدء الدراسة أو سن الانتهاء منها، ولا يتقيد بتشعيب مفروض: علمى أو أدبى، ويتيح للطالب تعليمًا شاملاً Comperhensive .

أقول: إن هذه التجربة الإسلامية تحتاج إلى تأمل ودراسة إذا أردنا بالفعل تطوير نظامنا التعليمى بما فى ذلك تعليمـ الفتى والفتاة. إن التعليم غير الصفى Non-Graded Schools ، والتعليم المنفصل Seperated Education، والتعليم بعض الوقت Part-Time Education ، وتسريع التعليم Acceleration of Education والمجموعات الخاصة Grouping Special Education وغيرها من صيغ التعليم المعاصرة، والتى يمكن أن

= العالم الإسلامى وقضاياه المعاصرة، جزءان، مكتبة الحلبى، المدينة المنورة، ١٩٨٦م وعن سكانه وثرواته انظر: محمود شاكر: العالم الإسلامى، المكتب الإسلامى بيروت ١٩٨٠م، السيد خالد المطيرى: دراسات عن العالم الإسلامى، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، جدة ١٩٨٤م.

يجد لها نظائر ومتشابهات كثيرة فى تاريخنا التربوى، يمكنها أن تساعدنا كثيراً على إيجاد مبنى وهياكل تعليمية أكثر مرونة واستجابة لمتطلبات تعليمنا الإسلامى المعاصر(١).

وكذلك، فإن إنسان القرآن والسنة يحتاج إلى نوعية جديدة من المعلمين القدوة، الذين يجمعون بين إتقان مواد التخصص والدراية الكاملة بالإسلام ومبادئه وقيمه، بحيث يمكنهم أن يقدموا العلوم والمعارف فى ضوء الإسلام وتعاليمه، وبحيث لا يكون المعلم مجرد ناقل معرفة بل هو ـ بجوار ذلك وقبل ذلك ـ مثقف وقائد ومرشد للأجيال القادمة، ولابد أن يؤهل للقيام بهذا الدور، وأن يمكن علمياً ومادياً من النجاح فى أداء تلك الرسالة. إن معلم اليوم الذى فقد تمكنه من مادة تخصصه وحرارة الإيمان بتعاليم دينه والظروف المادية الكافية لإشباع حاجته الضرورية، غير قادر على إيجاد الأجيال الصالحة العابدة المستخلفة لله فى الأرض.

وأخيراً فإن الطالب المتعلم لا ينبغى أن تكون الشهادة مبلغ همه ولا غاية علمه، بل إنه يعلم أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأن طلب العلوم عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله، سواء كانت العلوم شرعية أم إجتماعية أم طبيعية، فهى كلها أدوات إصلاح وعمران فى الأرض. والمتعلم المستخلف «هو ذلك الإنسان الذى يسعى لصلاح نفسه

---

(١) يراجع فى ذلك الباحث: التعليم الابتدائى عند المسلمين «التعليم الأعلى عند المسلمين» فى الإعداد التربوى والمهنى للطبيب عند المسلمين، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٤م، ص ٥٣ - ١٨٣.

وتزكيتها بالعلم حتى يعبد الله حق عبادته، ويعمر فى الأرض وفق شريعته، ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه»[(1)].

وحتى يتحقق ذلك فلابد أن تسود المؤسسات التربوية روح إسلامية صحيحة؛ سواء كانت مؤسسات تربوية نظامية: مدرسة أو معهد أو كلية.. إلخ، أم مؤسسات تربوية غير نظامية: وسائل إعلام ودور عبادة، أحزاب... إلخ.

أما عن إدارة التعليم وتمويله، فإن التجربة التاريخية الإسلامية قد أكدت على أن إدارة هذا التعليم لابد أن تكون إدارة قوية أمينة، تعمل من أجل إيجاد تربية الإنسان الصالح العابد المستخلف بالدرجة الأولى، بكل ما يتطلبه ذلك من جهد وعمل وإخلاص، والتمويل قد يكون رسميًا وقد يكون شعبيًا وجماهيرياً، ولكنه فى جميع الحالات يتحول إلى أوقاف وهبات يقدمها الناس ـ حكامًا ومحكومين ـ من أجل إقامة المؤسسات التربوية ورعايتها محبة وقربة لله تعالى، بحيث يكون كل ما يناله الطلاب والمعلمون من أجور وأعطيات لا يتضمن أى قيد على حريتهم الأكاديمية والمهنية، وهى حرية ينبغى ألا تحدها حدود من يعطى ومن يهب، إذ من يعطى ويهب حقيقة هو الله، الذى ينبغى أن يكون المهيمن والموجه لكل أمور الحياة وعلى رأسها تأتى أمور التربية والتعليم.

---

(1) المركز العالمى للتعليم الإسلامى «مكة المكرمة»: توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربعة، جامعة أم القرى، مكة ١٩٨٣م، ص ١٢، ١٣.

هذه ـ بإيجاز مكثف ـ أهم ملامح الخطاب التربوى الإسلامى البارزة، تعكسه المؤتمرات التربوية الإسلامية العالمية، وكما تردد خلال رسائل الماجستير والدكتوراه، المقدمة فى مجال التربية الإسلامية بكليات التربية، وكذا بعض البحوث والمؤلفات التى قام بها بعض أساتذة التربية المهتمين بميدان التربية الإسلامية، والتى قدر للباحث أن يطلع على بعضها[1] وإذا

---

(١) تعتبر المؤتمرات العالمية الخمسة للتربية الإسلامية التى عقدت على التوالى بمكة المكرمة إبريل ١٩٧٧م، إسلام آباد بباكستان مارس ١٩٨٠م، ودكا ببنجلاديش مارس ١٩٨١م، وجاكرتا بأندونيسيا أغسطس ١٩٨٢م، والقاهرة بمصر مارس ١٩٨٧م، وكذلك مؤتمر التربية الإسلامية ببيروت ١٩٨١م، ومؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة الذى عقدته جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية بعمان، الأردن ١٩٩٠م، من أهم مظاهر الخطاب التربوى الإسلامى العالمى، أما عن مصر فلم يعقد بها أى مؤتمر تربوى إسلامى واحد يمكن أن يطلق عليه هذا الاسم. وما قدمه قسم أصول التربية بكلية التربية بطنطا عام ١٩٨٠م تحت عنوان «المؤتمر الثانى للتربية الإسلامية» لم يكن سوى تجميع ملخصات أو خطط بحثية مقدمة للقسم لنيل درجة الماجستير والدكتوراه فى التربية الإسلامية، وكذلك «مؤتمر المناهج التربوية والتعليمية فى ظل الفلسفة الإسلامية الحديثة» الذى عقده المعهد العالى للفكر الإسلامى بالتعاون مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية فى القاهرة يوليو ١٩٩٠م. فقد كان محدود المجالات والمشاركات العلمية مما يترك المجال مفتوحًا لإقامة مؤتمر تربوى عالمى يليق بمصر الأزهر والعروبة والإسلام. أما عن رسائل الماجستير والدكتوراه فى مجال التربية الإسلامية بالجامعات المصرية فيراجع فى ذلك الباحث: **دليل مستخلصات الرسائل الجامعية فى التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية**، المعهد العالى للفكر الإسلامى عمان، الأردن ١٩٩٤م. أما عن البحوث والمؤلفات فهى تحتاج إلى حصر خاص بها. ويمكن الرجوع إلى الباحث: مشروع مكتبة بحثية لدراسة التربية الإسلامية «فى بحوث التربية الإسلامية»، الكتاب =

كان لنا من وقفة هنا أمام هذا الخطاب التربوى الإسلامى على مستوى التنظير، فلابد أن نؤكد على أن هذا الخطاب مازال خطاباً فردياً فى معظمه، ولم يتحول إلى خطاب مؤسسى بعد، إذ لا توجد فى مصر حتى الآن مؤسسة تتبنى هذا الخطاب ودراسات وبحوث هذا الخطاب(١). ورغم وجود الأزهر إلا أن كلية التربية جامعة الأزهر مازالت صورة ثانية من كليات التربية فى سائر الجامعات المصرية ولا يمثل الخطاب الإسلامى داخلها إلا هامشاً ضيقاً من اهتمامها.

وقد تجلى ذلك فى قلة المؤتمرات التى تعقد من منطلق إسلامى مقارناً بالمؤتمرات التربوية العديدة التى تعقد بمصر كل عام، ويكون صوت الخطاب التربوى الإسلامى أقل الأصوات حضوراً فيها، كذلك لا توجد دورية تربوية واحدة ـ حتى الآن ـ متخصصة فى تقديم هذا الخطاب التربوى الإسلامى للجهات الرسمية والشعبية، ومن ثم يظل هذا الخطاب محدود الشيوع والانتشار داخل فئة قليلة محدودة من المهتمين به.

= الثالث دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٧م، ص ١٦٤ - ص ٢١٢ حيث توجد نواة لهذا الحصر المفتقد.

(١) رغم وجود جمعيتين مسجلتين فى القاهرة، الأولى تسمى: «الجمعية التربوية الإسلامية» والأخرى تسمى: «الجمعية العربية للتربية الإسلامية» إلا أنهما لم يقدما الكثير فى الخطاب التربوى الإسلامى، ويقاس على ذلك المعهد العالى للفكر الإسلامى، فرع القاهرة، والذى مازال محدود التأثير فى هذا المجال التربوى الإسلامى، سواء على مستوى التنظير أو التطبيق .

فإذا أضفنا إلى ذلك كله أن عدد رسائل التربية الإسلامية مازال عدداً قليلاً، وكذا عدد المؤلفات التربوية التى تنحو نحواً إسلامياً فى تأليفها مازال محدوداً، مما يحول قطعًا دون نمو هذا الخطاب التربوى الإسلامى، ويحول دون فرص ذيوعه وانتشاره، إلا أن تلك العوامل لا ينبغى أن تخفى حقيقة أن القائمين على هذا الخطاب مازال أمامهم طريق طويل كى يقدموا البدائل التربوية الإسلامية لمشكلات الأمة، وأن معالم هذا الخطاب التربوى الإسلامى مازالت فى حاجة إلى مزيد من التوضيح والخروج من دائرة العموميات إلى دائرة التفاصيل الدقيقة والمشاريع المحددة، ومازال أمام هذا الخطاب التربوى الإسلامى أن يوجد المؤسسة العلمية الشعبية التى تحتضنه وترعاه، والتى توجد له منابره العلمية ومؤتمراته السنوية، ودورياته الشهرية ورسائله العلمية، وبالتالى أرضيته الواسعة بين المتخصصين والجماهير، مما يتيح له الذيوع والانتشار، وبما يجعله بالفعل قادراً على توجيه العمل التربوى الإسلامى داخل مصر وخارجها.

فإذا انتقلنا الآن من الخطاب التربوى الإسلامى على مستوى التنظير إلى الخطاب التربوى الإسلامى على مستوى التطبيق، إذ أن التنظير بدون تطبيق يكون كلامًا أجوف، كما أن التطبيق بدون تنظير عميق يكون جهداً عشوائياً، وسوف أترك هنا محاولة مناقشة مدى تطبيق هذا الخطاب التربوى الإسلامى على مؤسسات التعليم الرسمية أو الحكومية، وكذا مؤسسات التعليم الأجنبية، وأكتفى بالإشارة إلى المدارس الإسلامية الخاصة، التى زاد

عددها خلال السنوات العشرين الماضية زيادة محسوبة ولكنها مطردة على كل حال.

والمدارس الإسلامية فى مصر مدارس خاصة، تهتم بالعربية والإسلام، وتحاول أن تهيىء للتلاميذ داخل المدرسة بيئة إسلامية صالحة، من حيث العقيدة والخلق والسلوك[(١)]، وقد زاد عدد تلك المدارس فى مصر من سبع مدارس ابتدائية عام ٧٠/ ١٩٧١م، إلى أربع عشرة مدرسة ٨٠/ ١٩٨١م، إلى ثمانى عشرة مدرسة عام ٨٨/ ١٩٨٩م، بينما زادت المدارس الثانوية من مدرسة واحدة عام ٧٠/ ١٩٧١م إلى ثلاث مدارس عام ١٩٨١/٨٠م، إلى خمس مدارس فقط عام ٨٨/ ١٩٨٩م، أى بواقع إجمالى ٧٣ مدرسة عام ٨٨/ ١٩٨٩م، مقابل عشرة مدارس فقط عام ٧٠/ ١٩٧١،[(٢)] وهى زيادات مهما كانت محدودة، إلا أنها تعكس رغبة القائمين على تلك المدارس، وكذا رغبة أولياء الأمور فى إعطاء أولادهم جرعة إسلامية مناسبة لا تتوفر لهم فى مدارس الدولة أو المدارس الأجنبية الخاصة.

ورغم أن تلك المدارس ملزمة بمناهج الوزارة ومقرراتها، إلا أنها

---

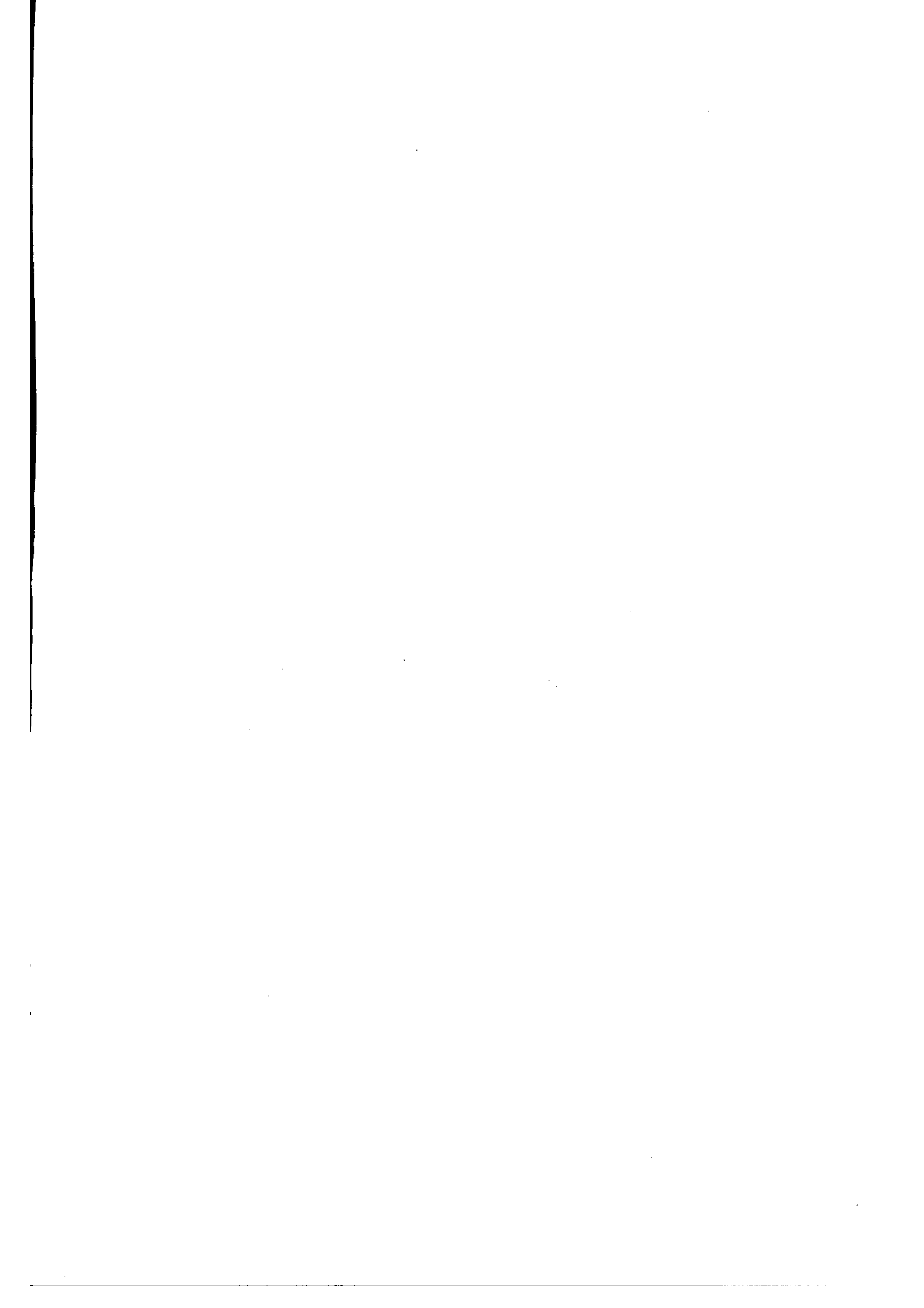
(١) الاتحاد العالمى للمدارس الإسلامية: **التأسيس والنظام الأساسى**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م، ص ٣٨.

(٢) مجدى صلاح طه المهدى: دراسة ميدانية للمدارس الإسلامية الخاصة فى جمهورية مصر العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لقسم أصول التربية جامعة المنصورة، ١٩٩٠م ص ٩، ١٠.

استطاعت من خلال إضافة بعض المواد: اللغة الأجنبية، والكمبيوتر وحفظ القرآن، وكذا من خلال الأنشطة اللامنهجية، والمناخ الدراسى أو المنهج الخفى، أن تحقق بدرجات متفاوتة تعليمًا متميزاً داخل تلك المدارس الإسلامية، إلا أنه من الصعب أن نقول: إن تلك المدارس قد ارتفعت بالفعل فى مجال التطبيق إلى المستوى النظرى الذى يطرحه الخطاب التربوى الرسمى، ويحلو للقائمين على تلك المدارس أن يبرروا إخفاقهم فى الوصول إلى المستوى الإسلامى اللائق بالظروف الصعبة التى تعمل ضدهم، سواء على المستوى الحكومى أو المستوى الشعبى، ولكن العملة الجيدة فى نظرى لابد أن تطرد العملة الرديئة دائماً على المدى الطويل.

وعليه، فإنه مازال أمام تلك المدارس الإسلامية شوط طويل لتحسن من مستوى أهدافها ومناهجها، ومعلمها وطالبها، وإدارتها وتمويلها، وحتى تكون بالفعل المدرسة الإسلامية القادرة على إيجاد الإنسان الصالح العابد المستخلف فى الأرض، ومهما كانت العقبات التى تحول دون الخطاب التربوى الإسلامى، سواء على المستوى التنظيرى أم على المستوى التطبيقى، فليس أمام أصحابه إلا العمل بإخلاص وصدق من أجل تحسين هذا الخطاب التربوى وتعميقه، وإثبات صلاحيته على مستوى الفكر والتطبيق. وفى النهاية لا يصح إلا الصحيح: ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف: ٢١] صدق الله العظيم.

البحث العلمي فى التربية الدينية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية: إلى أين؟!!



مقدمة

رغم إيمان الباحث أن التربية الدينية الإسلامية ينبغي ألا تكون عبر مادة أو مقرر دراسى واحد، بل ينبغى أن تكون روحًا سارية فى جميع ما يقدم لطلابنا من مناهج وأنشطة داخل وخارج مؤسساتنا التعليمية- إلا أنه يدرك تمامًا أن هذا طموح واسع لا نقدر عليه فى ظروفنا الحالية على الأقل. فما زال أمامنا الكثير حتى يمكن أن نتبنى فلسفة تربوية إسلامية توجه جميع العلوم والمعارف والأنشطة وتشكل المناخ العام داخل مؤسساتنا التربوية والتعليمية[١].

وفى ظل تلك الظروف السائدة تعتبر مادة التربية الدينية الإسلامية من أهم المواد التى يمكن أن تسهم فى بث الروح الإسلامى لدى طلابنا وتحفظ عليهم ثقافتهم وهويتهم الإسلامية المتميزة. وإذا كان فى الإمكان أن تعبث يد العابثين بمقررات التاريخ أو الجغرافيا أو العلوم أو اللغات على سبيل المثال- فإنه من الصعب -إلى حد كبير- أن تمتد تلك اليد العابثة إلى مقررات التربية الدينية الإسلامية فتحاول تغييرها أو العبث بثوابتها الإسلامية المكنية عبر العصور. ومن هنا تأتى أهمية الدراسات والبحوث التى تتناول مادة التربية الدينية الإسلامية فى جميع المراحل التعليمية داخل وطننا العربى والإسلامى، لنرى إلى أى مدى تسهم تلك المادة فى إيجاد الإنسان المسلم صاحب رسالة التعمير والعبودية والاستخلاف، وكيف

يمكن أن نحافظ على تلك المقررات الدراسية ونجعلها أكثر قدرة وكفاءة فى تحقيق أهدافها الإسلامية المرجوة لتصبح -بحق- حصوننا المنيعة التى يصعب اقتحامها من قوى العلمانية والتغريب من أعداء تلك الأمة سواء كانوا أعداء الداخل أم الخارج.

حدود الدراسة:

ستقتصر تلك الدراسة على تناول أبحاث الماجستير والدكتوراه التى تقدم بها أصحابها لنيل تلك الدرجات العلمية من كليات التربية قسم المناهج وطرق التدريس فى كل من مصر والمملكة العربية السعودية، وذلك فى الفترة الممتدة من إنشاء تلك الكليات حتى عام ١٩٩٠م. وهى الفترة التى غطاها حصر شامل للباحث لرسائل التربية الإسلامية فى كل من مصر والمملكة العربية السعودية، وصدر بها دليل خاص للتعريف بتلك الرسائل(٢). وقد اشتمل هذا الدليل على مستخلصات (١٧٥) رسالة ماجستير ودكتوراه مصرية، (٨٣) رسالة ماجستير ودكتوراه سعودية.

ولما كان الدليل يتناول رسائل التربية الإسلامية بالمعنى العام، فقد رأيت أن أقتصر هنا على الرسائل التى تناولت «مناهج التربية الدينية الإسلامية» بالمعنى الخاص المتعارف عليه فى أقسام المناهج وطرق التدريس بكليات التربية فى كل من مصر والسعودية. وقد اشتملت عينة الدراسة على (٢٥) رسالة ماجستير ودكتوراه مصرية فيها (٩) رسائل دكتوراه والباقية (١٥) رسالة ماجستير. بينما اشتملت العينة السعودية على (٥) رسائل كلها

لدرجة الماچستير. وكانت أول رسالة ماچستير فى هذا المجال قد صدرت من كلية التربية جامعة عين شمس بعنوان: «مناهج التربية الدينية الإسلامية للصف الأول الثانوى فى الجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية دراسة حالة» تحت إشراف الأستاذين الجليلين الراحلين أ.د. محمد قدرى لطفى، أ.د. محمود رشدى خاطر، وأول رسالة دكتوراه من كلية التربية جامعة عين شمس أيضاً عام ١٩٨٢ بعنوان: «مناهج التربية الإسلامية بالمرحلة المتوسطة فى المملكة العربية السعودية» تحت إشراف الأستاذين الفاضلين أ.د. حلمى أحمد الوكيل، أ.د. محمود كامل الناقة. بينما تأخرت أول رسالة ماچستير سعودية إلى عام ١٩٨٤ وهى دراسة بعنوان: «تقويم منهج التربية الإسلامية فى الصف الرابع الابتدائى للبنات بمدينة مكة المكرمة» إشراف أ.د. محمود الناقة. وطبيعى أن تتأخر الرسائل السعودية، ويقل عددها عن نظيرتها المصرية؛ وذلك لتأخر نشأة الدراسات العليا بالجامعات السعودية عنها بالجامعات المصرية. والملفت للنظر أن تلك الدراسات الرائدة فى هذا المجال قد تركت بصماتها الواضحة على باقى رسائل العينة؛ سواء من حيث المنهج المستخدم فى تلك الدراسات، أو من حيث النظر إلى طبيعة المجال وموضوعاته، أو من حيث طريقة التناول.

نظرات تقويمية فى عينة الدراسة

أولا: من حيث حجم العينة:

رغم أننا لا نزعم أن حصرنا للدراسات فى حقل التربية الإسلامية بصفة عامة، والتربية الدينية الإسلامية بصفة خاصة هو حصر جامع مانع، إلا أننا نؤكد أن نسبة ما لم يتم حصره خلال فترة الدراسة لا يكاد يؤثر على حجم العينة. وعلى ضوء ذلك فإن نسبة عدد رسائل التربية الدينية الإسلامية بكليات التربية نسبة ضئيلة جداً، لا تتجاوز (٢٥) رسالة من (١٧٥) رسالة بنسبة لا تزيد عن ١٤٪ من عدد رسائل التربية الإسلامية، وهى ستكون أكثر تفاؤلا إذا حسبت تلك النسبة إلى عدد رسائل التربية بصفة عامة بجميع الأقسام التربوية. وما يقال عن الرسائل المصرية ينسحب بصورة أوضح على الرسائل السعودية والتى لم تتجاوز (٥) رسائل من مجموع (٨٣) رسالة تربية إسلامية بنسبة ٦٪ فقط وهى نسبة متواضعة جداً وستكون أشد تواضعاً لو أخذنا فى الاعتبار عدد الرسائل العلمية فى جميع الأقسام التربوية بالمملكة العربية السعودية.

ومهما قيل عن إمكانية زيادة النسبة خلال الفترة من ١٩٩٠ حتى الآن- وهو ما يحتاج إلى دراسة تالية- إلا أننا نؤكد هنا على ضرورة الاهتمام ببحوث التربية الدينية الإسلامية؛ وذلك لخطورة هذه الأبحاث وأهميتها وخصوصاً فى تلك المرحلة بالذات التى تستهدف فيه أمتنا العربية

والإسلامية، ولا ينهض بتلك الأمة أو يجعلها قادرة على الثبات مثل تربية دينية إسلامية فاعلة[٣].

إن النسبة المتدنية لأبحاث التربية الدينية الإسلامية داخل كليات التربية قد يكون مرده صعوبة هذه الدراسات وشدة حساسيتها، وخاصة عندما يظن البعض أن كل اهتمام بالتربية الدينية الإسلامية إنما هو نوع من أنواع التعصب أو إثارة الفتنة الطائفية أو حتى إثارة روح الجهاد الإسلامى ضد أعداء الأمة فى وقت ندعو فيه إلى السلام مع العدو الصهيونى، وقد يكون مرد ذلك ندرة الأساتذة المختصين فى مجال التربية الدينية الإسلامية القادرين بكفاءة واقتدار على الإشراف العلمى على تلك الدراسات فضلا عن الكتابة فيها، وقد يكون المناخ العلمى العام داخل الكليات التربوية والذى لا يشجع كثيراً مثل هذه البحوث ويفضل عليها بحوث اللغة العربية بفروعها المختلفة بدلا من الاقتراب من هذا المجال الحساس وخاصة أنه لا يوجد تخصص مناهج وطرق تدريس تربية دينية إسلامية كتخصص مستقل وإنما فى معظم الأحيان كتخصص فرعى داخل تخصص مناهج وطرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية الإسلامية. والتخصصان -كما نرى- رغم تداخلهما بالفعل، إلا أنهما مختلفان من حيث المحتوى، والموضوعات، والأهداف، ومناهج البحث المستخدمة. وفى جميع الأحوال فهناك حاجة ماسة إلى ضرورة دراسة أسباب عزوف الباحثين عن التسجيل لدرجتى الماچستير والدكتوراه فى موضوعات التربية الدينية الإسلامية، رغم أهمية وخطورة هذا المجال من مجالات البحث العلمى التربوى.

ثانياً: الباحثون فى التربية الدينية الإسلامية:

إن الباحثين فى التربية الدينية الإسلامية - عينة الدراسة - سواء كانوا معيدين أو مدرسين مساعدين أو خارج هيئة التدريس نادراً ما يتخصصون فى التربية الدينية الإسلامية فى درجة الماچستير والدكتوراه معاً. وفى الغالب يأخذون الماچستير فى طرق تدريس التربية الدينية الإسلامية والدكتوراه فى طرق تدريس اللغة العربية أو العكس. وقلة نادرة هى التى أخذت الدرجتين معًا فى التربية الدينية الإسلامية مما يترتب عليه ضعف فى الإعداد العلمى لهؤلاء الباحثين وقدرتهم على التعمق فى أبحاث هذا المجال. يضاف إلى ذلك الضعف العام لطلاب الجامعات غير الشرعية فى مجال الإسلاميات عمومًا والعلوم الشرعية بفروعها المختلفة على وجه الخصوص، وطبيعى أن ينعكس هذا الضعف العام على المستوى العلمى للباحثين ومدى اقبالهم على بحوث هذا المجال. فإذا تركنا خريجى الجامعات غير الشرعية إلى الجامعات الشرعية (كالأزهر فى مصر وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والجامعة الإسلامية فى السعودية) لوجدنا أن خريجى هذه الجامعات، رغم إلمامهم بالعلوم الشرعية، إلا أنهم -فى الغالب- تنقصهم دراية كبيرة بالعلوم التربوية والعلوم العصرية مما ينعكس كذلك على حسن إعدادهم لتناول قضايا ومشكلات التربية الدينية الإسلامية(٤). والأمر يتطلب دراسات تعويضية منظمة لطلاب الدراسات العليا الذين يريدون مواصلة دراساتهم فى التربية الدينية الإسلامية، بحيث يصل هؤلاء الطلاب إلى الدرجة العلمية المناسبة التى تؤهلهم

لتناول قضايا التربية الدينية الإسلامية؛ سواء من الناحية الدينية الإسلامية، أو الناحية التربوية والعلوم المعاصرة. كذلك ينبغى تشجيع طلاب الدراسات العليا على الاشتغال بموضوعات التربية الدينية الإسلامية وعلى مواصلتهم لدراسة تلك الموضوعات على مستوى درجتى الماجستير والدكتوراه معًا؛ لأن ذلك سيساعد على نضجهم العلمى فى هذا المجال، ومن ثَمَّ تكوين الكوادر المدربة والمتخصصة فى بحوث هذا المجال.

ثالثًا: المشرفون على البحث فى التربية الدينية الإسلامية:

إن مطالعة لأسماء جميع المشرفين على رسائل التربية الدينية الإسلامية سوف يلاحظ قلة عدد هؤلاء الذين يمكن أن نسميهم - بحق- متخصصين فى التربية الدينية الإسلامية؛ إذ أنهم فى الغالب يشرفون على رسائل التربية الدينية الإسلامية كتخصص فرعى لتخصصهم الأصلى وهو طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية. ولا يظهر ذلك فى إشرافهم العملى فقط إذ أن معظم إشرافهم هو على رسائل اللغة العربية بفروعها المختلفة - بل يمتد ذلك إلى إنتاجهم العلمى فهو موجه -بدرجة أكبر- إلى بحوث اللغة العربية. أى أن إشرافهم وبحوثهم فى التربية الدينية الإسلامية إنما هو من قبيل استيفاء اللقب العلمى: كمتخصص فى مناهج وطرق تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية، أو هو فى أحسن حالاته تخصص لبعض الوقت أو لأقل الوقت فى التربية الدينية الإسلامية. ويندر أن نجد بين هؤلاء المشرفين -سواء المصريين أم السعوديين- من يمكن أن

نقول عنهم -بحق-: إنهم متخصصون كل الوقت لبحوث التربية الدينية الإسلامية.

وتؤكد الدراسة الحالية على أن التخصص الكلى لأبحاث التربية الدينية الإسلامية إنما هو ضرورة إسلامية كما أنه ضرورة قومية ووطنية فضلا على أنه ضرورة علمية، وما لم يتفرغ بعض أساتذة مناهج وطرق تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية تفرغًا كاملاً لبحوث التربية الدينية الإسلامية بحثا وإشرافًا وتدريسًا فمن الصعب أن يتحسن وضع البحث التربوى فى هذا المجال كمًا وكيفًا، بحيث يواجه متطلبات المرحلة التاريخية التى نمر بها اليوم. وهنا ينبغى التعرض للخلاف الذى يدور أحيانًا حول من يشرف على رسائل التربية الدينية الإسلامية؛ إذ يظن البعض أن هذا من اختصاص أساتذة العلوم الشرعية: التفسير والحديث والفقه وأصول الدين ... إلخ بينما يصر أساتذة كلية التربية على أن هذا من اختصاصهم. ودون الدخول فى مناقشات طويلة فإن الأخيرين قطعًا هم الأقدر بالفعل على الإشراف على مثل تلك الدراسات بشرط أن يعدوا أنفسهم الإعداد الكافى فى العلوم الشرعية. وإذا كان لكل قاعدة شذوذ فإن هذا لا يمنع أن يكون بعض أساتذة العلوم الشرعية قادرين على الإشراف على بعض رسائل التربية الدينية الإسلامية شريطة أن يثقفوا أنفسهم ثقافة تربوية وعصرية مناسبة. وإلى أن يتم إعداد المختصين المتفرغين لبحوث التربية الدينية الإسلامية؛ سواء من بين أساتذة العلوم الشرعية أو العلوم التربوية، فقد تكون هناك حاجة إلى تعاون هؤلاء معًا

فى الإشراف على تلك البحوث فى المرحلة الحالية.

رابعا: موضوعات البحث فى التربية الدينية الإسلامية:

إن المتتبع للموضوعات البحثية التى تناولتها أبحاث الماجستير والدكتوراه فى التربية الدينية الإسلامية سوف يدهش للتكرار والتشابه الشديد فى موضوعات البحوث والذى يعكس ضيقًا فى أفق الباحثين فى المجال؛ إذ تقتصر الموضوعات المختارة على مساحة محدودة جداً من الموضوعات التى ينبغى أن يتطرق إليها الباحثون فى هذا المجال. وتكاد تقتصر الغالبية العظمى من بحوث العينة المصرية على البحوث التى تتناول مناهج التربية الدينية الإسلامية بالمعنى الضيق لمفهوم المنهج -مثلا- فى الكتاب الدراسى المقرر. ولا تكاد دراسة واحدة تتناول -مثلا- أهداف التربية الدينية فى المراحل التعليمية المختلفة، وتطور تلك الأهداف والحكم عليها من المنظور الإسلامى الشامل. كذلك لا توجد دراسة واحدة تتناول تقويم السلوك الدينى للطلاب والمعلمين، أو حتى تقويم آراء المعلم فى فروع التربية الدينية المختلفة، أو الوسائل التعليمية التى يمكن استخدامها بفاعلية فى التربية الدينية الإسلامية. كذلك قليلة هى الدراسات التى تناولت التربية الدينية فى دول العالم الإسلامى الناطقة بغير العربية، أو التربية الدينية الإسلامية للأقليات المسلمة فى العالم، أو قياس مدى فاعلية تلك التربية الدينية الإسلامية على الطلاب وسلوكهم، أو مدى تناول تلك المناهج المقررة للمشكلات المعاصرة التى يواجهها الطلاب بالفعل

ويبحثون عن حلولها الإسلامية.

وقراءة حتى عناوين تلك الرسائل سوف يعكس الفقر المدقع لموضوعات الدراسة، والتكرار الواضح لتلك الموضوعات مع مجرد تغيير الصف الدراسى أو المرحلة الدراسية. فإذا تركنا عناوين الرسائل إلى فصول الدراسة وجدنا التشابه الكبير بين تلك الدراسات وخاصة عند الحديث عن الدراسات السابقة وأسس بناء المنهج، والذى يكاد أن يكون فصلا ثابتاً فى معظم تلك الرسائل والذى يتناول نفس المحاور: أسس بناء المنهج وتشتمل على طبيعة المادة المدروسة (التربية الدينية الإسلامية) وطبيعة المجتمع الذى توجد فيه (المجتمع المصرى أو السعودى) وخصائص النمو ومتطلباته فى مرحلة الدراسة (ابتدائى، إعدادى، ثانوى) وأهم الاتجاهات العالمية المعاصرة فى بناء محتوى المناهج الحديثة. وهو كلام يكاد أن يكون مكرراً فى معظم تلك الرسائل -متجاهلا خصوصية الواقع العربى والإسلامى، وخصوصية الأمة الإسلامية وما تواجهه من تحديات وما يفرض عليها من واجبات: التعمير، والعبَودية، والاستخلاف.

فإذا تركنا العينة المصرية إلى العينة السعودية -على قلتها- لوجدنا نفس السمات من حيث التكرار وعدم الجدة، إلا أنها امتازت بثلاثة رسائل جديدة من حيث الموضوع: أحدها عن تقويم النشاط غير الصفى فى التربية الإسلامية بالمرحلتين المتوسطة بمنطقة الرياض التعليمية، وأخرى عن مدى استخدام الوسائل التعليمية فى تدريس المواد الدينية بالمدارس المتوسطة

للبنين بمدرسة الرياض، وثالثة عن أهم مشكلات تدريس التربية الدينية الإسلامية فى المدارس الابتدائية بمنطقة الرياض التعليمية دراسة مسحية.

إن مجال التربية الدينية الإسلامية مازال مجالاً مفتوحًا يحتاج إلى مزيد من الدراسات، ولعل من أهم تلك الموضوعات التى تستحق الدراسة:

- دور التربية الدينية الإسلامية فى وحدة الصف العربى والإسلامى.
- القوى المحيطة المؤثرة على التدين الإسلامى لدى طلاب المراحل التعليمية المختلفة.
- مدى فاعلية التربية الدينية الإسلامية على سلوك الطلاب.
- مدى شمولية التربية الدينية الإسلامية لمجالات العقائد والعبادات والأخلاق والنظم.
- الأنشطة غير الصفية الضرورية للتربية الدينية الإسلامية فى جميع المراحل التعليمية.
- إعداد ومواصفات وكفاءات معلم التربية الدينية الإسلامية: تاريخه، واقعه، مستقبله.
- تطور التربية الدينية الإسلامية عبر العصور، ودورها فى معارك التحرير والنهضة.
- المشكلات التى تواجه التربية الدينية الإسلامية.

- التربية الدينية الإسلامية لغير الناطقين بالعربية.
- التربية الدينية الإسلامية للأقليات المسلمة.
- التربية الدينية الإسلامية ومشكلات العالم العربى والإسلامى.
- إسلامية العلوم والمعارف فى المراحل التعليمية المختلفة ودورها فى التربية الدينية الإسلامية.
- تكامل العلوم الشرعية وأثره على التربية الدينية الإسلامية.

إلى غير ذلك من الموضوعات التى ينبغى أن تتطرق إليها أبحاث التربية الدينية الإسلامية، ويرى الباحثون والأساتذة المشرفون أهميتها فى وقتنا الراهن.

خامساً: مناهج البحث المستخدمة:

لما كانت موضوعات البحث متشابهة جاءت مناهج البحث وأدواته متشابهة أيضاً، ويغلب عليها جميعاً استخدام المنهج الوصفى التحليلى مع سطحية التحليل إذا وجد. وقد استخدم المنهج التجريبى عند تجريب وحدة دراسية معينة (ثلاث مرات) وتحليل المحتوى (أربع مرات) والمنهج المقارن (مرتين) لمقارنة الكتاب المدرسى (المنهج) فى مصر بواحدة أو اثنين من الدول العربية، وتكاد تقنيات البحث وأدواته أن تتشابه إلى حد كبير، وأثر الرسائل الأولى واضح جداً فيما تلاها من رسائل، وبدلا من أن يتقدم البحث ويضيف جديداً إلى ما سبق يكاد يكرر نفسه بصورة لافتة للنظر،

ولو تعددت موضوعات البحث لتعددت مناهج البحث أيضاً لتشمل المنهج التاريخى، والمنهج الأصولى، واستخدام مقاييس مقننة لقياس الالتزام الدينى الإسلامى وأنواع السلوكيات المختلفة لدى الطلاب والطالبات بل والمعلمين والإداريين.

أما العينة السعودية فقد اقتصرت بالكامل على المنهج الوصفى متجاهلة المناهج البحثية الأخرى. والأهم من ذلك كله أن البحوث المصرية والسعودية معا تكاد تشترك معا فى نظرة قاصرة إلى منهجية البحث التربوى، والذى لا يقتصر على الجانب الوصفى، بل يتعداه دائمًا إلى الجانب المعيارى الذى يحكم على الظاهرة المدروسة بمعيار الإسلام ومتطلبات القرآن والسنة من الإنسان ليكون معمراً للأرض كما أراد الله، عابداً لله، مستخلفاً له بالحق والعدل. ومثل تلك المنهجية الإسلامية لابد أن ينعكس على اختيار موضوعات البحوث وعلى مناهج بحثها[٥]. وهو ما لا يكاد يظهر فى تلك الدراسات إلا نادراً.

سادساً: الكليات المهتمة ببحوث التربية الدينية الإسلامية:

لما كانت كليات التربية هى الكليات المتخصصة فى مثل تلك الدراسات، إلا أن اللافت للنظر أن تكون الكليات التابعة لجامعات غير شرعية هي الأكثر إسهامًا فى تلك الدراسات. فبينما كان نصيب كلية التربية جامعة عين شمس (٩) رسائل ونصيب جامعة أسيوط والمنيا (٥) رسائل– اقتصر نصيب كلية التربية جامعة الأزهر على (٣) رسائل فقط

متساوية فى ذلك مع كلية البنات جامعة عين شمس يلى ذلك كلية التربية بالمنوفية (٢) رسالة، ثم رسالة واحدة لكل من طنطا والمنصورة والإسكندرية. وربما يرجع ذلك لقدم بدء الدراسات العليا بكلية التربية جامعة عين شمس، أو لأن تلك الكليات التربوية غير الشرعية هى المؤهلة بالفعل لمثل تلك الدراسات حتى الآن، يؤكد ذلك أن الدراسات السعودية الخمسة كان ثلاث منها من نصيب جامعة الملك سعود، والاثنتان الباقيتان من نصيب جامعة أم القرى، وكلاهما جامعة غير شرعية. ولعل ذلك يتوقف فى جميع الأحوال على وجود الأستاذ المشرف المستعد للإشراف على مثل تلك البحوث، دع عنك المتحمس لها والمتفرغ لها، بدليل أننا إذا رجعنا إلى أسماء الأساتذة المشرفين على معظم تلك الرسائل فى العينتين المصرية والسعودية لأدركنا أن أسماء معينة تكاد تفوز بنصيب الأسد فى الإشراف على تلك الرسائل مثل أ.د. إبراهيم محمد الشافعى فى الرسائل السعودية، أ.د. حسن شحاتة فى الرسائل المصرية.

ولعل ذلك أن يلفت نظرنا إلى ضرورة اهتمام تلك الكليات بهذه النوعية من الأبحاث، وإلى الدعوة إلى إنشاء مركز عالمى متخصص للدراسات والبحوث التربوية الإسلامية يكون من بين اختصاصاته تبنى البحث فى التربية الدينية الإسلامية فى جميع مراحل التعليم بما فى ذلك التعليم الجامعى. بل ويمتد نشاطه البحثى إلى دراسة مدى الالتزام الدينى الإسلامى لدى فئات الشعب المصرى بمختلف قطاعاته، على أن ينقل خبراته إلى جميع أقطار العالم العربى والإسلامى.

ويقترح الباحث أن يكون من بين مهام هذا المركز عقد الدورات المؤهلة لإعداد الباحثين فى التربية الدينية الإسلامية، وإعطاء الدرجات العلمية: الماجستير والدكتوراه فى التربية الدينية الإسلامية، على أن يكون مقره كلية التربية جامعة الأزهر، وأن يوفر له كافة الإمكانات المادية والبشرية اللازمة لتحقيق الأهداف المرجوة من إنشائه[٦]. ذلك أن ترك هذا الأمر لظروف الكليات التربوية وهوى أساتذتها حباً أو خوفاً من الإقدام على هذا المجال، وكذلك ترك الحبل على الغارب للباحثين وطلاب الدراسات العليا ليختاروا البحث فى هـذا المجال أو يهجروه إلى بحوث اللغة العربية الأكثر أمنا وراحة وربما كسباً للقمة العيش ورضاء المسؤولين لن يغير من الصورة القاتمة لوضع البحث العلمى فى التربية الدينية الإسلامية كما تعرضه عينة تلك الدراسة.

خاتمة:

وأخيراً، فإذا كان هذا هو وضع البحث العلمى فى التربية الدينية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية – وهو وضع غير مطمئن – كماً وكيفاً، أساتذة وطلاباً، وموضوعات ومناهج بحثية، ومؤسسات مشرفة على تلك الدراسات. ورغم الأهمية القصوى لمثل تلك البحوث العلمية إذا أردنا أن تكون التربية الدينية الإسلامية محققة لآمالنا وطموحاتنا فهل نحن قادرون على تغيير هذا الوضع إلى الأفضل؟ أم أن الظروف المجتمعية أقوى من إيماننا وإرادتنا؟ وهل نحن مصرون فعلاً على تغيير وضع البحث

العلمى فى التربية الدينية الإسلامية بالكليات التربوية؟ وهل نحن مهيؤون علمياً وإسلاميا لآداء هذا الواجب؟

كل هذه وغيرها من الأسئلة متروك الإجابة عليها انتظاراً لما نحن فاعلون فى المستقبل. هذا وبالله وحده التوفيق.

المراجع والمصادر

١ - راجع الباحث: **التربية الإسلامية رسالة ومسيرة**، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٢٩- ص ٧٨، ص ١٠٧- ص ١٨٠.

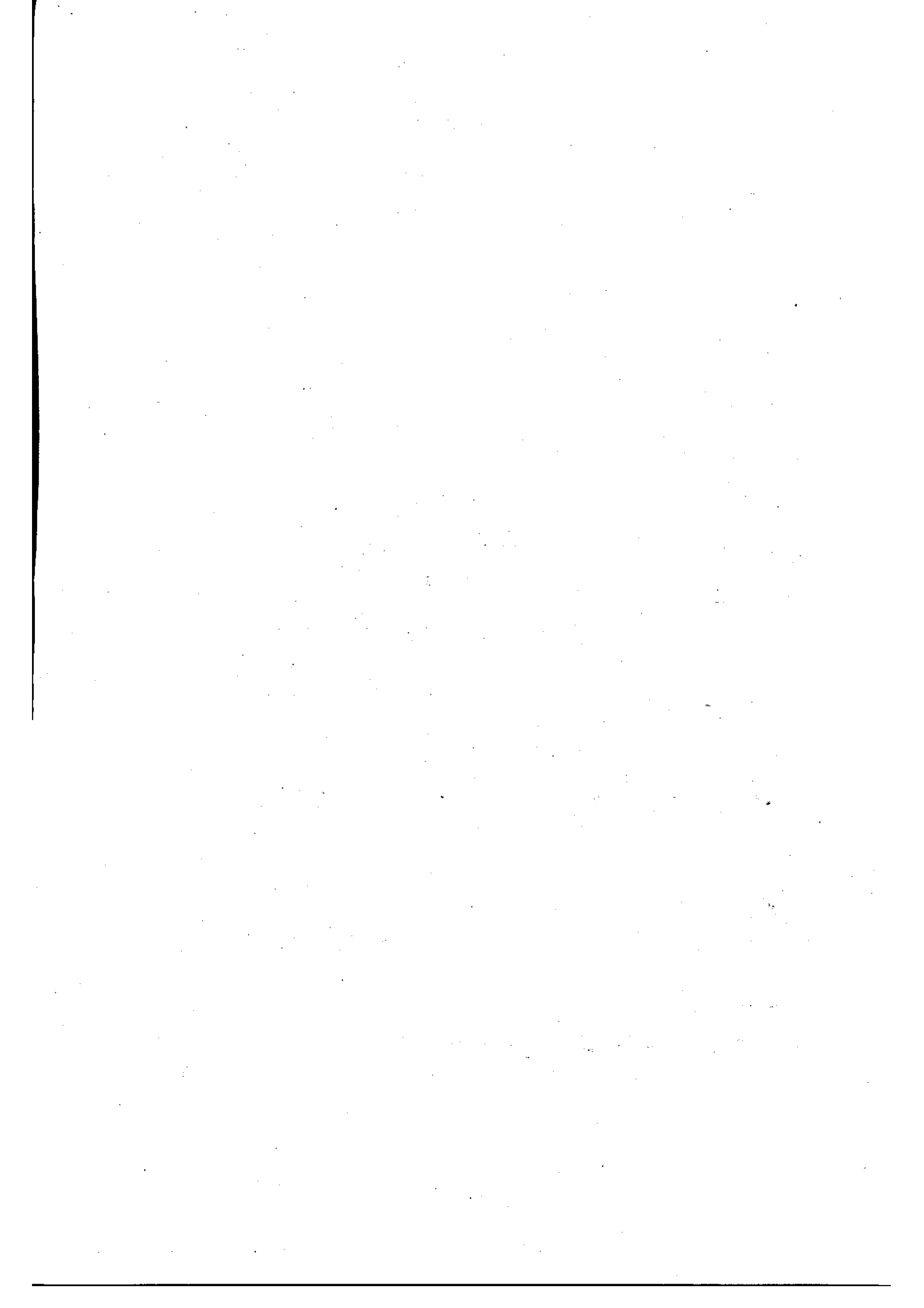
٢ - الباحث: **دليل مستخلصات الرسائل الجامعية فى التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية**، المعهد العالمى للفكر الإسلامى - مكتب الأردن، عمان ١٩٩٣.

٣ - الباحث وآخرون: **مقياس الالتزام الدينى الإسلامى لدى الشباب المسلم**، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٣، «الالتزام الإسلامى لدى الشباب الجامعى» فى **بحوث فى التربية الإسلامية** الكتاب الثانى، دار الفكر العربى، ١٩٨٤، ص ١٤٥- ص ١٦٨.

٤ - الباحث: «الثقافة التربوية لطلبة العلوم الشرعية فى الجامعات: الأزهر دراسة حالة» من بحوث مؤتمر علوم الشريعة فى الجامعات: الواقع والطموح، جمعية الدراسات والبحوث، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، عمان ١٩٩٤.

٥ - الباحث: «نحو منهجية علمية فى البحث التربوى الإسلامى» **فى التربية الإسلامية رسالة ومسيرة**، مرجع سابق، ص ٢٣٥ - ص ٢٧٠.

٦ - راجع تفاصيل هذا المشروع في «مشروع إنشاء المعهد العالمى للتربية الإسلامية» **فى التربية الإسلامية رسالة ومسيرة**، نفس المرجع، ص٢٢٣ - ص٢٣٤.



ملحق برسائل التربية الدينية الإسلامية بكليات التربية بالجامعات المصرية والسعودية حتى عام ١٩٩٠م

أولاً: العينة المصرية:

١ - الأحاديث النبوية فى الحلقة الأولى من التعليم الأساسى، دراسة تقويمية - سيد السايح حمدان. رسالة ماچستير، كلية التربية بسوهاج - جامعة أسيوط - قسم المناهج وطرق التدريس - إشراف إبراهيم بسيونى عميرة، وحسن شحاتة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م (١٦٦ صفحة) + الملاحق.

٢ - أسس اختيار الآيات القرآنية فى المرحلة الابتدائية بدولة الكويت - حمود الحطاب. رسالة ماچستير، كلية التربية جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف محمود رشدى خاطر، وكافية رمضان، وحسن شحاتة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م (١١١ صفحة) + الملاحق.

٣ - أسس تكامل محتوى تعليم الدين فى الصفوف الثلاثة الأخيرة من الحلقة الابتدائية - عبد المنعم إبراهيم عبد الصمد السيد، رسالة ماچستير، كلية التربية جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف أحمد المهدى عبد الحليم، وحسن شحاتة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، (٢٦٦) صفحة.

٤ - إعداد وحدات متكاملة للتربية الدينية الإسلامية بالصف الثالث من التعليم الأساسى ودراسة أثرها وأثر استخدام التغذية الراجعة فى دراستها على تحصيل التلاميذ وسلوكهم - سناء محمد حسن أحمد، رسالة دكتوراه، كلية التربية بسوهاج جامعة أسيوط، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف إبراهيم بسيونى عميرة، وحسن شحاتة، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م (٣٥٢) صفحة.

٥ - برنامج علاجى مقترح لتحسين أداء تلاميذ الصف السادس من التعليم الأساسى فى مهارات الوضوء والصلاة - شعبان محمد محمود، رسالة ماچستير، كلية التربية بالمنيا، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف محمد الأحمدى أبو النور، وحسن شحاتة، وحياة رفاعى على، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م (١٣٩) صفحة.

٦ - برنامج مقترح لإعداد معلمى التربية الدينية فى كليات التربية - مصطفى رجب سالم، رسالة دكتوراه، كلية البنات جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف منيرة حسن الصعيدى، وحسن شحاتة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م (٢١٣) صفحة.

٧ - برنامج مقترح لتطوير محتوى مناهج التربية الدينية الإسلامية للمرحلة الثانوية بالتعليم العام - أحمد الضوى سعد، رسالة دكتوراه، كلية التربية جامعة الأزهر، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف أحمد المهدى عبد الحليم، وعبد العزيز محمد عبد العزيز، ووفاء حسن وهبة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، (٣٣٨ صفحة) + الملاحق.

٨ - برنامج مقترح لتنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدي تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر - وضحه على السويدى، رسالة دكتوراه، كلية البنات جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف يحيى هندام، ومحاسن رضا أحمد، ومحمود سامى السباعى، ومحمود مصطفى قمبر، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، (٢٧٨ صفحة) + الملاحق.

٩ - بناء برنامج فى الثقافة الإسلامية ومقياس مدى فاعليته فى كسب المعلومات وتعديل الاتجاهات الدينية لدى طلاب الفرقة الثانية بكلية التربية جامعة المنيا - زين محمد شحاتة محمد، رسالة دكتوراه، كلية التربية جامعة المنيا، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف محمد الأحمدى أبو النور، وسلام سيد أحمد، وحسن شحاتة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م (١٤٦ صفحة) + الملاحق.

١٠- تحليل الأخطاء الشائعة فى قراءة القرآن الكريم لدى معلمى اللغة العربية فى الحلقة الثانية من التعليم الأساسى دراسة تشخيصية - إبراهيم محمد أحمد على، رسالة ماجستير، كلية التربية بدمياط، جامعة المنصورة، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف أحمد المهدى عبد الحليم، ورشدى أحمد طعيمة، وأحمد مصطفى أبو الخير، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، (١٤٩ صفحة).

١١- تطوير مناهج التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية فى الأردن -

صالح دياب خليل هندى، رسالة دكتوراه، كلية التربية جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف حلمى أحمد الوكيل، وعمر حسن الشيخ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م (٤٢٢ صفحة).

١٢- تقويم الكتاب المدرسى للتربية الإسلامية بالتعليم الثانوى - عبد القادر عبد ربه شاهين، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة الإسكندرية، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف على محمد شلتوت، وفوزى طه إبراهيم، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤م (٢٤١ صفحة).

١٣- تقويم مقرر التربية الإسلامية للصف الثالث الثانوى بدولة البحرين فى ضوء أهداف المرحلة ومدى ملاءمته لحل مشكلات الطالب - يوسف محمود العلوى، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة طنطا، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف فتحى على يونس، ومحمود الحسينى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م (٣٤٢ صفحة).

١٤- تقويم مناهج التربية الإسلامية بالمرحلة المتوسطة فى المملكة العربية السعودية - سراج محمد وزان، رسالة دكتوراه - كلية التربية جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف حلمى أحمد الوكيل، ومحمود كامل الناقة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م (٤٢٨ صفحة).

١٥- تقويم مناهج التربية الدينية الإسلامية للمرحلة الثانوية فى الجمهورية العربية السورية - محب الدين أحمد أبو صالح، رسالة دكتوراه، كلية

التربية جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف محمود رشدى خاطر، ومحمد قدرى لطفى، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، (٩٢١ صفحة).

١٦- تقويم منهج التربية الدينية الإسلامية للصف الأول الإعدادى بالتعليم العام - عبد المجيد سليمان همروش، رسالة ماچستير، كلية التربية جامعة الأزهر، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف محمد سيف الدين فهمى، وعلى أحمد مدكور، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م (٢٦٧ صفحة).

١٧- تقويم منهج التربية الدينية الإسلامية للصف التاسع من التعليم الأساسى - حلمى السيد بدر، رسالة ماچستير، كلية التربية جامعة المنوفية، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف رشدى أحمد طعيمة، وعدلى عزازى جلنهوم، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م (١٧٧ صفحة).

١٨- دراسة تقويمية لآراء معلمى العلوم الدينية فى ضوء المهارات التدريسية اللازمة لتدريسها - أحمد الضوى سعد، رسالة ماچستير، كلية التربية جامعة الأزهر، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف محمد سيف الدين فهمى، وسامى محمود عبد الله، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م (٢٤١ صفحة) + الملاحق.

١٩- دراسة مقارنة لمناهج التربية الدينية الإسلامية فى المرحلة الإعدادية بكل من جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية - عبد الله

حامد الدسوقى، رسالة ماچستير، كلية التربية جامعة عين شمس، قسم التربية المقارنة والإدارة التعليمية، إشراف محمد قدرى لطفى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م (٢٥٩ صفحة).

٢٠- الكفايات النوعية اللازمة لمعلم التربية الإسلامية بالمرحلة المتوسطة فى المملكة العربية السعودية - سراج محمد وزان، رسالة ماچستير، كلية التربية جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف حلمى أحمد الوكيل، ومحمود كامل الناقة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، (٩٠ صفحة).

٢١- المفاهيم الدينية اللازمة لتلاميذ مرحلة التعليم الأساسى وتقويم محتوى المناهج الحالية فى ضوئها - زين محمد شحاتة محمد، رسالة ماچستير، كلية التربية جامعة المنيا، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف محمد على نصر، وحسن شحاتة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٢م.

٢٢- المفاهيم الدينية اللازمة لطلاب مراحل التعليم فى مصر - عدلى عزازى إبراهيم، رسالة دكتوراه، كلية التربية جامعة المنوفية، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف محمود رشدى خاطر، وحسين غريب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م (٣٣١ صفحة).

٢٣- المفهومات الدينية اللازمة لطلاب المرحلة الثانوية فى الجمهورية العربية اليمنية - حسن محمد جابر، رسالة ماچسيتر، كلية التربية

جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف أحمد حسين اللقانى، ورشدى أحمد طعيمة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م (٢٤٠ صفحة).

٢٤- مناهج التربية الدينية الإسلامية للصف الأول الثانوى فى الجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية - محب الدين أحمد أبو صالح، رسالة ماچستير، كلية التربية جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف محمد قدري لطفى، ومحمود رشدى خاطر، ١٩٧١م (٢٧٩ صفحة).

٢٥- منهج مقترح فى التربية الإسلامية للصف السادس الابتدائى بالمدارس القطرية - وضحه على السويدى، رسالة ماچستير، كلية البنات جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف يحيى هندام، وأحمد خيرى كاظم، ومصطفى الجويبى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م (٢١٧ صفحة).

ثانياً: العينة السعودية:

١ - أهم مشكلات تدريس التربية الإسلامية فى المدارس الابتدائية بمنطقة الرياض التعليمية دراسة مسحية - صالح بن سليمان بن عبد العزيز المفدى، رسالة ماچستير، كلية التربية جامعة الملك سعود، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف إبراهيم محمد الشافعى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م (٢٩٦ صفحة).

٢ - تقويم كتاب العلوم الدينية للصف السادس الابتدائى من وجهة نظر موجهى التربية الإسلامية ومعلميها فى المنطقة الغربية - على سعيد الزهرانى، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة أم القرى، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف غسان خالد باوى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٨م، (٢٩٣ صفحة).

٣ - تقويم منهج التربية الإسلامية فى الصف الرابع الابتدائى للبنات بمدينة مكة المكرمة - أميرة زيب فياض، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة أم القرى، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف محمود كامل الناقة، ١٤٠٤هـ (٢٣٤ صفحة).

٤ - تقويم النشاط غير الصفّى فى التربية الإسلامية بالمرحلتين المتوسطة بمنطقة الرياض التعليمية - أحمد محمود أحمد موسى، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة الملك سعود، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف إبراهيم محمد الشافعى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م (٢٨٢ صفحة).

٥ - مدى استخدام الوسائل التعليمية فى تدريس المواد الدينية بالمدارس المتوسطة للبنين بمدينة الرياض، حمد عبد العزيز حمد اليوسف، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة الملك سعود، قسم المناهج وطرق التدريس، إشراف إبراهيم محمد الشافعى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م (٢٥١ صفحة).

الخدمات الطلابية بين الأصالة والتغريب

مقدمة

يعتبر موضوع الخدمات الطلابية من الموضوعات الهامة التى تستحق أن نتوقف عندها طويلاً إذا أردنا لتلك الخدمات أن يتسع نطاقها بحيث تطول أكبر عدد ممكن من طلابنا داخل المدارس والجامعات، وإذا أردنا بالفعل أن تكون تلك الخدمات مؤثرة وفاعلة ومساعدة على إيجاد أجيال المستقبل القادرة على مواجهة تحديات العصر. ومن ثم فإن الهدف من تلك الدراسة هو لفت النظر إلى أهمية تلك الخدمات الطلابية من ناحية وضرورة توجيهها التوجيه الإسلامى الذى يجعل الاستفادة من تلك الخدمات استفادة محققة لآمال الأمة فى هؤلاء الطلاب، بدلا من أن تكون تلك الخدمات مجرد صورة من صور التقليد للغير دون فلسفة إسلامية أصيلة فى الخدمة والرعاية لهؤلاء الطلاب.

وإذا استحضرنا إلى الذهن أننا عندما نتكلم عن الخدمات الطلابية فإنما نتكلم عن الخدمات الطلابية التى ينبغى أن تقدم لنحو من ١٣ مليون طالب فى التعليم المصرى. وهو عدد هائل إذا نظرنا إليه من الناحية الكمية البحتة؛ إذ يمثل قطاعًا واسعًا وعريضًا من قطاعات الشعب المصرى - إلا أن تلك الأهمية تزداد إذا نظرنا إليه من الناحية الكيفية؛ إذ يضم هذا القطاع الطلابى العناصر الواعدة بغد مشرق إذا أحسنا إعدادهم ووفرنا لهم الرعاية والخدمات الطلابية المناسبة.

أولا: مفهوم الأصالة والتغريب

يقصد بالأصالة هنا رد الظاهرة -موضوع الدراسة- إلى مصادرها الإسلامية الأصيلة من قرآن وسنة وإجماع وقياس واستحسان ومصالح مرسلة... إلخ مع الاستئناس بالتجربة التاريخية الإسلامية، على أن تكون عودتنا لتلك التجربة التاريخية الإسلامية ليس بقصد الخضوع الكامل لها أو التقليد الأعمى لمعطياتها، وإنما الأخذ منها بمقدار موافقتها لأصولنا الإسلامية الصحيحة من قرآن وسنة وإجماع وقياس واستحسان ومصالح مرسلة... إلخ، وفى ضوء حاجاتنا وضروراتنا المجتمعية الحديثة.

وعكس التأصيل يكون التغريب - وليس المعاصرة - وهو الأخذ من الغير دون مراعاة لأصولنا وثقافتنا وتميزنا الحضارى. ومن هنا فإن الأصالة ليست عكس المعاصرة كما هو شائع أحياناً وإنما هى عكس التغريب؛ ذلك لأن الأصالة هى المعاصرة الإسلامية، والتغريب هو الأخذ عن الغير بدون تروٍّ أو حكمة أو مواءمة. والتغريب دائمًا لا يكون معاصرة بل مجرد تقليد للآخر، وحيث إن المقلد غالبًا لا يقلد الآخر إلا بعد فترة ولو قصيرة، فإن التقليد دائمًا لا يكون معاصرة، بل قد يكون ردة إلى الوراء: وراء الآخر الذى نقلده. والأصالة كما تكون أخذاً واعيًا من التجربة الإسلامية، فقد تكون أيضًا أخذاً واعيًا من التجربة الإنسانية، كل ذلك فى ضوء أصولنا الإسلامية الصحيحة الثابتة.

ثانياً: مفهوم الخدمات الطلابية بين الأصالة والتغريب

كلمة خدمة تعنى مجهود أو مجهودات هادفة تبذل لتحقيق فائدة أو منفعة أو لإيقاف ضرر واقع أو محتمل الوقوع. ومن مفهوم الخدمة جاء مفهوم الخدمات الطلابية ويقصد بها «مجموعة الجهود والبرامج التى تعدها وتقدمها معاهد التعليم المختلفة بقصد تحقيق أهداف التربية الحديثة وتنمية شخصية الطلاب إلى أقصى حد مستطاع، ومساعدتهم على الاستفادة من مؤسسات التعليم المختلفة إلى أقصى حد تسمح به قدراتهم واستعدادتهم حتى يصبحوا مواطنين قادرين على أن يقوموا بواجباتهم نحو أنفسهم ونحو مجتمعهم»(٢).

وسوف نلاحظ على هذا التعريف أن صاحبه قد اقتصر على الخدمات الطلابية التى تقدمها معاهد التعليم المختلفة للطلاب، واستبعد بذلك الخدمات الطلابية التى يمكن أن تقدم لهؤلاء الطلاب خارج مؤسسات التعليم مثل: المساعدة المالية من البنوك، أو الرعاية الصحية فى المستشفيات، أو الرعاية الدينية فى المساجد.. إلخ. وهذا التعريف يتطلب أن تكون معاهد التعليم مؤسسات متعددة الأهداف لا تقتصر على الخدمات التعليمية والمعرفية، بل ينبغى أن تتسع لتشمل جميع أنواع الرعاية والخدمة التى ينبغى أن ينالها الطلاب داخل مدارسهم وكلياتهم - وهذا يقتضى نوعًا مختلفًا من المبانى الدراسية والجامعية يمكن أن يشتمل على جميع هذه

الخدمات، كما يقتضى نوعًا مختلفًا من الميزانيات والقوى البشرية العاملة، وتغييراً كبيراً فى نظرتنا للمدرسة والجامعة وكيف تكون.

كذلك أريد أن أقف قليلاً عند الهدف من تلك الخدمات الطلابية كما يقدمها هذا التعريف السابق؛ إذ يرى صاحب هذا التعريف أن القصد من تقديم تلك الخدمات هو تحقيق أهداف التربية الحديثة، وهو مصطلح شائع فى كتبنا التربوية ويقصد به التربية الشاملة للإنسان جسمًا وعقلاً وروحًا فى مقابل التربية التقليدية التى تهتم بالجانب العقلى والمعرفى. ولكن هذا المصطلح على كل حال منقول إلينا وينقل لنا ثقافة الغرب وظروفه التاريخية والتربوية. وربما لو أن الباحث قد جعل الهدف من تلك الخدمات الطلابية تحقيق أهداف التربية الإسلامية لكان الهدف أكثر ثراءً واتصالاً بثقافتنا الإسلامية؛ ذلك أن الهدف من التربية الإسلامية لا يقتصر على مجرد الإنسان القوى جسمًا وعقلاً وروحًا، بل يجعل ذلك فى إطار تعاليم الإسلام، ويقصد أن يصبح هؤلاء الطلاب مستقبلا أصحاب رسالة نحو وطنهم ونحو العالم الذى يعيشون فيه. وإذا كان التعريف السابق يجعل الغاية من تلك الرعاية الطلابية أن يصبح هؤلاء الطلاب مستقبلا «مواطنين قادرين على أن يقوموا بواجباتهم نحو أنفسهم ونحو مجتمعهم» فإن الغاية من تلك الخدمات الطلابية تتسع إسلاميًا ليصبح إيجاد الأجيال المسلمة القادرة على تحقيق أهداف التربية الإسلامية الثلاثة التالية:

١ - عمارة الأرض المذكورة فى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]. فالإنسان لابد أن يعد الإعداد الكافى لعمارة الأرض بالسياسة الشرعية، والاقتصاد العادل المزدهر، والأخلاق القرآنية الفاضلة، وعمارة الأرض بمفهومها الإسلامى لا يقتصر على الجوانب المادية من العمران أو التحضر، بل يشمل العمران المادى والروحى معاً. ولقد أدرك فقهاء الإسلام منذ البداية أن صلاح أمور الدنيا وعمرانها شرط ضرورى لصلاح أمور الدين، حتى أن الإمام الغزالى المعروف بالزهد وتجاهل أمور الدنيا يقول: «إن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا، ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، وهى الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لا لمن اتخذها مستقراً ووطناً»(٣).

ويطول بنا الحديث لو ذهبنا فى مناقشة معنى العمران الإسلامى بجوانبه المادية والروحية وضرورات التقدم الزراعى والصناعى والتجارى والعسكرى.. إلخ، مع عدم إغفال السمو الروحى والخلقى فى نفس الوقت. وكيف يختلف هذا العمران الإسلامى عن العمران الغربى الذى يتجاهل الآخرة والخلق والدين القويم(٤). ومثل هذا العمران الإسلامى لا يحقق إلا الأجيال المسلمة التى تربت تربية إسلامية صحيحة، وقدمت لها خدمات طلابية موجهة لتحقيق تلك الغاية.

٢ - عبادة الله المذكورة فى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨] بكل ما تقتضيه العبودية لله من طاعة كاملة لله سبحانه وتعالى فى كل ما أمر به والابتعاد عن كل ما نهى عنه. والشخصية العابدة لله المنفذة لأوامره المجتنبة لكل ما نهى عنه، هى هدف إسلامى تسعى إليه التربية الإسلامية(٥). ولا تقتصر العبودية فى الإسلام على القيام بأداء العبادات بالمعنى الضيق من صلاة وصيام وحج وزكاة، والتى لا تحتل من وقت المسلم إلا ساعات محدودة، بل يتسع معنى العبادة فى الإسلام ليشمل كل قول وعمل وسلوك يأتى به الإنسان ملتزمًا فيه بأوامر الله ومبتعداً به عن نواهيه. وبذلك تتحول حياة الإنسان كلها إلى عبادة واتصال كامل بالله. وكلما لاحظ الإنسان ذلك فى جميع سلوكه كلما ازدادت عبوديته لله(٦)، وعليه فنحن لا نحكم على تربيةٍ بالنجاح إلا بقدر ما تصل بالإنسان إلى درجات أعلى فى مجال العبودية الحقة لله سبحانه وتعالى.

٣ - وخلافة الإنسان المذكورة فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩] وغيرها من الآيات، وما يتطلبه هذا الاستخلاف من سَعْيٍ نحو الكمال بقدر الطاقة البشرية، حتى يصبح الإنسان أهلاً لهذا الاستخلاف. ولا يكون ذلك إلا بالاقتداء بالبارى سبحانه وتعالى فى صفاته، حتى يصبح الإنسان ربانيًا فى خلقه وسلوكه.

ولعل من أهم مهام الأمة المستخلفة أن تكون أمة قدوة فى سلوكها وسطاً في قيمها ومثلها، مقتدية برسولها، آمرة بالمعروف ناهية، عن المنكر، امتثالا لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومراجعة تلك الأهداف الثلاثة السابقة توضح الفارق الهائل بين أهداف التربية الإسلامية التى تسعى إلى تحقيقها، وأهداف التربية الحديثة كما وردت فى تعريف الخدمات الطلابية السابق، والذى يكاد ينحصر في جزء من الهدف الأول للتربية الإسلامية وهو هدف عمارة الأرض، مع الفارق الهائل بين عمارة الأرض بالمفهوم الإسلامى وعمارتها بالمفهوم الغربى، ومما يترتب عليه اختلاف فى أهداف الخدمات الطلابية وأنواعها فى كل من النظام التربوى الإسلامى والنظام التربوى الغربى.

ولمزيد من الكشف عن مفهوم الخدمات الطلابية بالمفهوم الإسلامى ومفهومها الغربى أو العلمانى سوف نعرض لتعريف آخر للخدمات الطلابية ثم نناقشه كما فصلنا فى التعريف الأول.

يقول صاحب هذا التعريف: الخدمات الطلابية «هى مجموعة الجهود أو المساعدات التى تقدمها معاهد التعليم المختلفة أو أفراد المجتمع بقصد

مساعدة الطلاب على حل مشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية والصحية والتعليمية، وإتاحة الفرصة للتحصيل العلمى الجيد من خلال توفير المناخ الملائم داخل قاعات الدرس وخارجها لتحقيق النمو المتكامل للطلاب»[7].

ويلاحظ أن هذا التعريف لم يقصر الخدمات الطلابية على تلك الجهود أو المساعدات التى تقدمها معاهد التعليم المختلفة، بل وسع مفهوم تلك الخدمات ليشمل كل ما يقدمه أفراد المجتمع أو مؤسساته الأخرى للطلاب بقصد حل مشكلاتهم وتوفير الظروف المناسبة لحسن تعليمهم وتربيتهم.

ولعل توسيع مفهوم الخدمات الطلابية ليشمل جهود المؤسسات التعليمية، وكذا جهود الأفراد، وجهود المؤسسات الأخرى فى مجال تحسين الظروف المعاشة للطلاب، وتوفير الأجواء المناسبة لحسن تعليمهم وتربيتهم- يقترب أكثر من التطبيق الإسلامى للخدمات الطلابية فى عصور الازدهار الإسلامى؛ حيث كان الطلاب لا ينالون الرعاية من داخل المؤسسات التعليمية، بل يمتد ذلك إلى جهود الأفراد وجهود المؤسسات الأخرى، كمؤسسة الزكاة والتى كان من بين أنصبتها خدمة ورعاية طلاب العلم، وكذا مؤسسة الوقف التى نظمها حديث رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم). وعلى ضوء هذا الحديث قامت العديد من مؤسسات الأوقاف التى قدمت الكثير من ألوان الرعاية والخدمات الطلابية[8]. ومؤسسة النفقة التى ينظمها قوله تعالى: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ**﴾ [الطلاق: ٧] والتى بموجبها أنفق المسلمون على أصحاب الحاجات

ومنهم طلاب العلم لتوفير الاحتياجات الضرورية لهم. ومؤسسة الوصية التى ينظمها قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠] والتى على ضوئها كانت الوصية لغير أصحاب الأنصبة الشرعية فى الميراث فى حدود الثلث. ومن بين من شملتهم تلك الوصايا طلاب العلم وقضاء حاجاتهم المختلفة.

ويطول بنا الحديث لو ذهبنا نحصر أوجه الرعاية ومصادر تمويل الخدمات الطلابية فى العصور الإسلامية، والتى شملت النذور على طلاب العلم، وطعام الأضاحى، وما رصدته الخزانة العامة من مواردها على طلاب العلم. وبإيجاز ما فرضته تعاليم الإسلام على أغنياء المسلمين بقدر ما يسع حاجات المحتاجين ومنهم طلاب العلم، ولن يجهد المحتاجون أو تقل الخدمات المقدمة لهم إلا بما يقصر الأغنياء عن أداء حق المال، وإن الله لمحاسبهم حساباً شديداً على هذا التقصير(٩). هذا فضلا عن روح الخير العام التى نظمتها الآية: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢] والتى كان من ثمرتها إقامة الكثير من مؤسسات الخير والبر مثل: الحمامات والأسبلة والبيارشانات والمكتبات والفنادق وبيوت الطلبة.. إلخ وكلها مؤسسات قدمت خدماتها المتعددة لطلاب العلم عبر عصور الازدهار الإسلامى بصورة قل أن نجد لها مثيلا فى كثير من دول عالمنا الإسلامى المعاصر(١٠).

ورغم توسيع مفهوم الخدمات الطلابية ليشمل جهود المؤسسات التعليمية وجهود الأفراد بقصد مساعدة الطلاب وخدمتهم، إلا أن الهدف من تلك الخدمات -كما يحدد التعريف السابق يظل هدفًا قاصراً من الناحية الإسلامية؛ إذ يحصره التعريف فى تحقيق النمو المتكامل للطلاب دون أن يمتد إلى الآفاق العالية التى ينبغى أن تطولها جهود الخدمات الطلابية فى الإسلام والتى تتغيا العمارة والعبادة والخلافة على نحو ما بينا. وعليه فإن الخدمات الطلابية من التطور الإسلامى يمكن أن تعرف بأنها: مجموعة الجهود والبرامج التى تقدمها مؤسسات التعليم المختلفة أو أفراد المجتمع ومؤسساته للطلاب بقصد تحقيق أهداف التربية الإسلامية فى إيجاد أجيال قادرة على عمارة الأرض عمارة إسلامية، وعبادة الله حق عبادته، والاستخلاف فى الأرض كما ينبغى أن يكون الاستخلاف. وبذلك يتسع مفهوم الخدمات الطلابية ليشمل كل ما يقدمه المجتمع من خلال أفراده ومؤسساته ومنها المؤسسات التعليمية لطلاب العلم من جهود وأنشطة يكون الهدف منها جميعها الوصول بهؤلاء الطلاب إلى مستوى تحقيق أهداف التربية الإسلامية، وهى أهداف تختلف قطعًا -كما بينا- عن أهداف التربية الحديثة الغربية التى تركز على عمارة الدنيا عمارة مادية منقطعة الصلة عن الله، مهملة هدفى العبودية لله، والاستخلاف فى الأرض بالحق والعدل والاستقامة. وبذلك يكون مفهوم الخدمات الطلابية إسلاميًا أعم وأشمل من مفهوم نظيره الغربى.

ومصطلح الخدمات الطلابية المستخدم فى تلك الدراسة هو أعم وأشمل

من غيره من المصطلحات المستخدمة فى هذا المجال. فهو أعم وأشمل من مصطلح «الخدمات التعليمية» والذى يمكن أن يقتصر على الخدمات المرتبطة بالجوانب التعليمية والمعرفية دون غيرها كتنظيم دروس التقوية أو بعض الأنشطة التعليمية الصفية وغير الصفية بقصد تحسين العملية التعليمية والمعرفية، كذلك فإن مصطلح الخدمات الطلابية أعم وأشمل من مصطلح «الخدمات المدرسية» أو «الخدمات الجامعية» والتى يقصد بها الخدمات التى تقدم داخل المبنى المدرسى أو الجامعى والمتمثلة فى وجود المبنى المناسب وتزويده بالتجهيزات والمختبرات والحدائق والمكتبات وغيرها من مستلزمات العملية التعليمية. كذلك فإن مصطلح الخدمات الطلابية هو أعم وأشمل من مصطلح «المساعدات الطلابية» الذى يقتصر على المساعدات المادية مثل النفقات الدراسية أو القروض المالية للطلاب أو المنح الدراسية المجانية(١١). كذلك هو أعم وأشمل من «التوجيه والإرشاد الطلابى» الذى يقتصر على الإرشاد والتوجيه النفسى والعلمى للطلاب.

من كل ما سبق يتضح لنا أن مصطلح الخدمات الطلابية هو أعم وأشمل المصطلحات المستخدمة فى هذا المجال. كما يتضح أيضاً أن مفهوم هذا المصطلح إسلامياً هو أعم وأشمل من مفهومه الغربى أو العلمانى. ونود أن نشير هنا إلى أننا نميل إلى أن تكون الخدمات الطلابية ليست حكراً على المدارس والجامعات، بل لابد أن يشترك كل أفراد المجتمع ومؤسساته فى تقديم تلك الخدمات، إلا أننا فى نفس الوقت نميل إلى أن يتم أكبر قدر من تلك الخدمات الطلابية داخل المؤسسات التعليمية، بحيث تنتقل

تلك الخدمات الإرشادية والطبية والرياضية والثقافية والفنية ... إلخ إلى الطلاب داخل مؤسساتهم، لا أن يسعى الطلاب إلى تلك الخدمات خارج مؤسساتهم التعليمية. كما نميل أيضا أن تتسع مؤسسة الخدمات الطلابية داخل المدارس والجامعات، بحيث لا تقتصر فى تقديم تلك الخدمات على طلابها، بل تمتد لتشمل سائر أفراد المجتمع المحلى للمدرسة والجامعة، مما يزيل الفجوة بين المدرسة والجامعة وبين المجتمع المحلى. وبذلك يزداد الإحساس بأهمية المدرسة والجامعة للمجتمع المحلى، ومن ثم تزداد الرغبة فى تقديم مزيد من الدعم لتلك المؤسسات التعليمية لتحقيق أهدافها العلمية والتربوية والمجتمعية. ولعل هذا كان هو الغالب على المؤسسات التعليمية فى عصور الازدهار الإسلامى، بل لعله أيضًا هو الاتجاه الذى ينادى به الفكر التربوى المعاصر[١٢].

ثالثاً: أنواع الخدمات الطلابية بين الأصالة والتغريب

تنقسم الخدمات الطلابية إلى مجموعتين من الخدمات:

المجموعة الأولى: مجموعة الخدمات الفردية المتنوعة سواء تلك المتعلقة بمواجهة بعض المشكلات الشخصية والتى تغطيها خدمات الإرشاد والتوجيه النفسى والمهنى والاجتماعى، أو التى تستهدف إشباع بعض الحاجات المادية والصحية. وتشمل تلك الخدمات توفير مساكن لإقامة الطلاب المغتربين، وتقديم وجبات غذائية مجانية أو مقابل رسوم رمزية يدفعها الطلاب، كما تشمل كل أنواع الرعاية الصحية للطلاب، وتوفير الكتب الدراسية والمكتبات، وتقديم القروض والمساعدات المادية، وكذلك المكافآت والحوافز الدراسية للطلاب المتفوقين ولتشجيع الدراسات فى بعض الأقسام والتخصصات التى يحتاجها المجتمع. ورغم أن الدول المتقدمة تتنافس فيما بينها فى تقديم أكبر عدد من تلك الخدمات الطلابية، إلا أن التجربة الإسلامية فى ميدان تقديم الخدمات الطلابية تجربة غنية تستحق إعادة النظر فيها والاستفادة منها. ذلك أن المجتمع الإسلامى قد وفر لطلابه أماكن الإقامة الدائمة وخاصة الطلاب المغتربين. وكانت أروقة الطلاب متاحة لكل طالب يريد التفرغ لطلب العلم. وألحقت بالمؤسسات التعليمية الأوقاف الكافية لإشباع حاجات الطلاب من الغذاء والمكتبات والرعاية الصحية. كذلك تمتع الطلاب المسلمون فى عصور الازدهار بالرعاية

النفسية والتوجيه التربوى والأكاديمى من أساتذتهم. ولولا صنوف الرعاية التى تمتع بها الطلاب المسلمون فى عصور الازدهار الإسلامى لما استطاعوا إنتاج تلك الحضارة الإسلامية الرائعة، التى ازدهرت فيها جميع العلوم والفنون والمعارف، والتى كانت -بلا شك- ثمرة خدمات طلابية متميزة نالها العلماء والطلاب فى عصور الازدهار الإسلامى(١٣).

غير أننا -ونحن ندرس تلك الخدمات الطلابية على المستوى الفردى فى العصور الحديثة، وما نجده لدى الدول المتقدمة من وجوه تلك الخدمات المتعددة- ينبغى ألا نظن أنها تجاوزت الخدمات الطلابية التى وفرها العالم الإسلامى فى عصور ازدهاره لطلابه؛ إذ رغم البعد التاريخى وكثرة الإمكانات المعاصرة التى يمكن أن تتيح لتلك الخدمات أن تتقدم وتتنوع وتكون أكثر كفاءة، إلا أننا ينبغى ألا ننسى المناخ الإسلامى الذى كانت تقدم فيه تلك الخدمات، والتى جعلت الناس يقدمون تلك الخدمات بدافع إسلامى، والتى جعلت القائمين على تلك الخدمات يراقبون الله فيما يعملون. ويكفى أن نذكر هنا مثلا الفارق بين الإرشاد النفسى والعلمى الذى كان يناله الطالب المسلم فى عصور الازدهار الإسلامى، والذى كان يستهدف إيجاد الشخصية العابدة لله، ومن ثَمَّ فقد استعان هذا الإرشاد والتوجيه الإسلامى بالقرآن، والسنة، والتوبة، والذكر، والعبادة مستضيئًا بمثل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ

يعلمون ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وقوله تعالى: ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [الأحقاف: ١٣] وقوله تعالى: ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ [الرعد: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿ **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠] أقول فارق كبير بين مثل هذا التوجيه الطلابى والإرشاد النفسى فى غاياته ونوعيته ودوافعه، والتوجيه الطلابى والنفسى الذى يناله طلاب اليوم والذى يكاد يعزلهم عن الله، والأهداف الإسلامية السامية للحياة من عمارة وعبودية واستخلاف(١٤). وقس على ذلك سائر الخدمات الضرورية الطلابية.

المجموعة الثانية: مجموعة الأنشطة الجماعية التى تمارس داخل المؤسسات التعليمية وهى تشمل عدداً ضخمًا من الأنشطة تختلف باختلاف المراحل التعليمية، واختلاف الإمكانات المادية والبشرية المتاحة وأهم تلك الأنشطة بصفة عامة:

١ - النشاط الرياضى: ممثلاً فى كرة القدم، وكرة السلة، وكرة الطائرة، وكرة اليد، وألعاب القوى، والسباحة، والملاكمة، والفروسية.

٢ - نشاط الجوالة والكشافة، وما يرتبط بذلك من خدمات عامة ومعسكرات.

٣ - نشاط الرحلات سواء على المستوى المحلى، أو الوطنى، أو القومى، أو العالمى.

٤ - النشاط الثقافى والفنى، ويشمل: المسابقات الثقافية والدينية والاجتماعية، وكل فنون الأدب من مقال وشعر وزجل وقصة ومسرحية، ومسابقات حفظ قرآن، وندوات ثقافية ومجلات وتمثيل وغناء وتصوير ورسم.

وتمارس تلك الأنشطة الجماعية من خلال سلسلة طويلة من الجماعات الطلابية التى تحاول أن تلبى حاجات الطلاب المختلفة وميولهم المتعددة ومن أهم تلك الجماعات:

أ - **الجماعات الثقافية**: وهى متعددة منها: جماعة المحاضرات والندوات والمناظرات، وجماعة الصحافة، وجماعة المكتبات، وجماعة الزراعة، وجماعة الشعر، وجماعة النثر، والزجل، والخطابة... إلخ.

ب - **الجماعات الاجتماعية**: مثل: الجمعية التعاونية، جماعة الخدمة العامة، جماعة الهلال الأحمر، جماعة المراسلات، جماعة الرحلات والمعسكرات، جماعة الحفلات، جماعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر... إلخ.

جـ - **الجماعات الرياضية**: ومنها: فرق الألعاب المختلفة، وجماعة الحركات على الأجهزة، والفرق المائية، وجماعة التمرينات الحرة ... إلخ.

د - **الجماعات الفنية**: ومنها: جماعة الرسم والتصوير والحياكة وأعمال النجارة والتمثيل والموسيقى ... إلخ.

هـ - **الجماعات العلمية**: ومنها: جماعة الكيمياء والجغرافيا والتاريخ وإحياء العلوم والخط.. إلخ[١٥]، وتمارس تلك الأنشطة فى المدارس على شكل جماعات يشرف عليها أحد المدرسين، بينما تمارس تلك الأنشطة على شكل لجان الأنشطة المختلفة المنبثقة عن اتحاد الطلاب والتى يشرف عليها أعضاء هيئة التدريس بالجامعات. ولكن هذه الأنشطة ما تزال فى حاجة إلى كثير من الدراسات للكشف عن مدى إقبال طلاب المدارس والجامعات عليها، ومدى الاستفادة منها. ويمكن القول -بصفة عامة- أن الإمكانات المادية والبشرية المتاحة حاليًا لا تمكِّن من تقديم تلك الأنشطة الطلابية لعدد كبير من طلابنا، دع عنك تقديمها لجميع الطلاب. كذلك فإن تكديس اليوم الدراسى بالحصص أو المحاضرات، وانشغال أعضاء هيئة التدريس بالساعات التدريسية، وقصر اليوم الدراسى، وانشغال معظم المعلمين وأعضاء هيئة التدريس بلقمة العيش، كل ذلك يحول دون أن تصل تلك الأنشطة الطلابية إلى كل من يحتاج إليها من الطلاب.

فإذا أضفنا إلى ذلك كله المناخ غير الإسلامى الذى تُقَدم فيه معظم تلك الخدمات الطلابية؛ سواء على المستوى الفردى، أو مستوى الأنشطة الجماعية، واتباعها فى الغالب الفلسفة الغربية فى أهداف الخدمات الطلابية بدلا من إخضاعها لأهداف التربية الإسلامية- لأدركنا حجم الفاقد، والهدر فى مجال العائد من تلك الخدمات الطلابية. ويكفى أن نذكر هنا أن معظم الأنشطة الطلابية الإسلامية مضيق عليها حاليًا فى

المدارس والجامعات. وأن الإدارة المدرسية والجامعية -فضلاً عن الحرس الجامعي بالجامعات- يضيق على مثل تلك الأنشطة الطلابية الإسلامية، فضلا عما يشوب ممارسة بعض تلك الأنشطة من مخالفات إسلامية؛ كالحفلات الغنائية والرحلات المختلفة وألوان الفنون الهابطة وغياب المعايير الإسلامية الحاكمة لتلك الأنشطة الطلابية المتعددة[١٦].

رابعاً: أهداف الخدمات الطلابية بين الأصالة والتغريب

تحقق الخدمات الطلابية الكثير من الأهداف لعل من أهمها: إشباع حاجات وميول ورغبات الطلاب مما يساعد على نموهم نمواً سليمًا متكاملاً، على أن يوجه ذلك توجيها إسلامياً سليمًا. كذلك فإن الطلاب يكتسبون من خلال تلك الخدمات الطلابية العديد من المهارات والخبرات الاجتماعية والنفسية والجسمية التى لا يمكنهم تعلمها داخل حجرات الدراسة، وبالتالى تكسب الطلاب -من خلال تلك الخدمات- الكثير من السمات الاجتماعية ومنها: التعاون والصبر وضبط النفس واحترام الغير وتحمل المسؤولية(١٧). وإذا تم ذلك فى إطار أهداف التربية الإسلامية ساعدت تلك الأنشطة الطلابية على إيجاد الشخصيات المسلمة القادرة على النهوض بالمجتمع الإسلامى والأمة الإسلامية الواحدة.

ورغم أن مظاهر الخدمات الطلابية قد تكون واحدة فى المجتمعات الإسلامية وغيرها؛ سواء الخدمات الفردية أو الأنشطة الطلابية الجماعية - إلا أن الأهداف ستكون قطعًا مختلفة، حيث سيكون الهدف الأسمى من تلك الخدمات الطلابية هو تكوين جيل قرآنى متميز، وطبيعى أن هذا الهدف الإسلامى سوف يصبغ تلك الخدمات بالصبغة الإسلامية، سواء من حيث دوافع تلك الأنشطة، واختيار القائمين والمشرفين عليها، وما ينبغى أن يتوفر فيهم من عنصر القدوة الإسلامية والإخلاص والإيمان بمبادئ

التربية الإسلامية وأهدافها، وكذا نوع المناخ المدرسى والجامعى، وما ينبغى أن يتوفر له من جو إسلامى فى الإدارة والعلاقات الطلابية والمدرسية والجامعية[18].

إن المرشد الطلابى الإسلامى يختلف قطعاً عن المرشد الطلابى العلمانى أو المستغرب، وكذا المشرف على الأنشطة الطلابية المختلفة على مستوى الجماعات أو اللجان أو الأسر يختلف فى آرائه عندما يكون هدفه إسلامياً عنه عندما يكون مجرد أداء الوظيفة أو مقتضيات المهنة، بل إن التركيز على أنشطة معينة سيكون أكثر بروزاً من أجل تحقيق أهداف تربوية إسلامية غائبة مثل: الاهتمام -مثلا- بجماعات التعريف بالعالم الإسلامى ومشكلاته، وجماعات الفقه الحضارى الإسلامى ومتطلباته، وجماعات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجماعات الدعوة الإسلامية، وجماعة النهوض بالقرية والمدينة المصرية ... إلخ.. من الجماعات التى تساعد بالفعل على تحقيق أهداف التربية الإسلامية.

* * *

خاتمة

وأخيراً، فقد كانت تلك مجرد أفكار رئيسية حول موضوع الخدمات الطلابية بين الأصالة والتغريب، وهى أفكار تحتاج إلى مزيد من الدراسة المتعمقة المتأنية التى تبرز لنا الجوانب المختلفة من الموضوع. ولعل من أهم الدراسات المقترحة فى هذا المجال ما يلى:

- أهداف التربية الإسلامية فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكيف تطورت تلك الأهداف عبر العصور الإسلامية المختلفة، ودور الخدمات الطلابية فى تحقيق تلك الأهداف.
- أبعاد الشخصية المسلمة التى يتغياها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتى تسعى الخدمات الطلابية المختلفة أو تساعد على تحقيقها.
- أنواع الخدمات الطلابية التى نالها طلاب وعلماء المسلمين عبر العصور، وكيف أثرت تلك الخدمات وتأثرت بالعمران الإسلامى تقدما وتخلفاً.
- أهداف الخدمات الطلابية من المنظور الإسلامى.
- المبادئ والأسس التى ترتكز عليها الخدمات الطلابية الإسلامية.
- دراسة مقارنة لأهداف وأنواع الخدمات الطلابية الغربية والإسلامية.

- دراسات تقويمية للخدمات الطلابية الحالية من حيث: الأهداف، والآراء، وحجم المنتفعين بتلك الخدمات، نوعية القائمين على تلك الخدمات، الإمكانات المادية والبشرية المتوفرة لأداء تلك الخدمات، مدي كفاية تلك الخدمات لتحقيق الأهداف المرجوة منها.
- دراسات تقويمية لتلك الخدمات على مستوى دول العالم العربى والإسلامى ولدى الأقليات المسلمة فى العالم.

مراجع البحث ومصادره

١ - القرآن الكريم.

٢ - محمد إبراهيم طه خليل: دراسة للرعاية الطلابية بجامعة طنطا ودورها في تحقيق أهداف الجامعة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة طنطا، ١٩٨٨م، ص ٨٦.

٣ - الغزالي: **إحياء علوم الدين**، جـ١ ، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ١٣.

٤ - في العمران الإسلامي انظر: عبد الرحمن النقيب: «مدخل لدراسة الاتجاه الحرفي والمهني في التربية الإسلامية» في **بحوث في التربية الإسلامية**، جـ ٣ ، دار الفكر العربي، القاهر، ١٩٨٧ ، ص ١١٣.

٥ - عفاف إبراهيم الدباغ: **المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية**، محاضرة بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية للبنات بالرياض، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٢٣.

٦ - في معنى العبودية راجع: ابن قيم الجوزية: **مسدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢م، يوسف القرضاوي: **العبادة في الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، أبو الأعلى المودودي: **المصطلحات**

الأربعـة فى القـرآن، دار التـراث العـربى للطبـاعـة والنشـر، القـاهرة، ١٩٧٢م.

٧ – جـمـال على خليل الدهشـان: «الخدمـات الطلابيـة فى مـصـر زمن الأيوبيين والمماليك» **مجلة العلوم النفسية والتربوية**، كلية التربية جامعة المنوفية، ١٩٩٣م، ص ٣ ، ٤.

٨ – محمد محمد أمين على: تاريخ الأوقاف فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ١٢٥٠–١٥١٧م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٢م.

٩ – مـصطفى أحـمـد حـسـان: **الرعاية الاجتماعية فى الإسلام والخدمة الاجتماعية**، بحث مقدم لندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية، القاهرة، ١٠–١٣ أغسطس ١٩٩١م، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، القاهرة، ١٩٩١م.

١٠– راجع صـور من تلك الخدمـات فى: أحـمـد شلبى: **التربية الإسلامية نظمها، فلسفتها، تاريخها**، النهـضـة المصرية، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٨٢م، سعيـد إسمـاعيل على: **ديمقراطية التربية الإسلامية**، دار الثقافة، ١٩٧٤م.

١١– جـمـال الدهشـان: «الخـدمـات الطلابيـة فى مـصـر زمن الأيوبيين والمماليك»، مرجع سابق، ص ٤.

١٢- انظر مثلاً: واين هولتزمان (محرر)، **مدرسة المستقبل** تلخيص وتعليق المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، سلسلة الكتب المترجمة (٣)، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٣- محمد عبد العليم مرسى: **ميسرات البحث العلمى عند علماء المسلمين**، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ.

١٤- لمزيد من التفصيل فى تلك النقطة راجع: محمد سلامة غبارى: **العلاج الإسلامى للحالات الفردية**، بحث مقدم لندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية، القاهرة ١٠-١٣ أغسطس ١٩٩١م، المعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة، ١٩٩١م، محمد محروس محمد الشناوى: **الأهداف العامة لمساعدة الأفراد على مواجهة مشكلاتهم النفسية كما تعرضها نظريات الإرشاد والعلاج النفسى الغربية دراسة تقويمية فى ضوء المنهج الإسلامى**، بحث مقدم لندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية، القاهرة ١٠-١٣ أغسطس ١٩٩١م، المعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة، ١٩٩١م، على أحمد مدكور: «الإرشاد والتوجيه الطلابى فى الفكر التربوى الإسلامى» **فى ندوة التوجيه والإرشاد الطلابى فى التعليم**، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية ١٦-١٨ شعبان، ١٤٠١هـ، الرياض ١٤٠١هـ.

١٥- محمد نجيب توفيق: **الخدمة الاجتماعية المدرسية**، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٨٧، ص ٨٨.

١٦- مجدى صلاح طه المهدى: معوقات الالتزام الإسلامى لدى طلاب الجامعات المصرية ودور الجامعة التربوى فى مواجهتها، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة المنصورة، ١٩٩٢م، ص ٣٢٢- ص ٣٤٤.

١٧- زين العابدين محمد رجب: المدخل الوقائى للخدمة الاجتماعية فى رعاية الطفل إسلاميًا، بحث مقدم لندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، القاهرة ١٠-١٣ أغسطس ١٩٩١م، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٩١م، ص ٦٥.

١٨- لمزيد من التفصيل حول توجيه الأنشطة الطلابية توجيهًا إسلاميًا انظر: مجدى صلاح طه: معوقات الالتزام الإسلامى لدى طلاب الجامعات المصرية ودور الجامعة التربوى فى مواجهتها، مرجع سابق ص ٤٢٢- ص ٤٥٦، عبد اللطيف عبد العزيز بن جريس الزباح: دراسة تقويمية لبرامج النشاط فى المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية فى ضوء متطلبات التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم التربية، الرياض ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

أولويات واجبات أساتذة التربية فى مصر

لقد شاع مؤخراً الحديث عن فقه الأولويات والذى يحدد للمسلم أولويات واجباته الشرعية، حيث لا يقتصر الأمر عند تحديد للواجبات الشرعية بل يتعداه إلى تحديد أولويات تلك الواجبات حسب أهميتها ومدى ضرورتها والحاجة إليها. ومن هذ المنطلق فإن الحديث عن أولويات واجبات أساتذة التربية فى مصر يعتبر حديثاً ضرورياً فى هذا السياق. ذلك أن أساتذة التربية فى مصر والذين يعملون فى كليات التربية كأعضاء هيئة تدريس قد وصل إلى عدد كبير يصل إلى خمسة آلاف عضو هيئة تدريس. وهذا العدد يقتصر على المتخصصين فى الدراسات التربوية والنفسية ولا يمتد ليشمل باقى التخصصات الأدبية والعلمية الموجودة بكليات التربية فى مصر.

وهذا العدد الهائل من أساتذة التربية الحاصلين على درجة الدكتوراه فى التربية وعلم النفس والذين يعملون بكليات التربية فى مصر، يعدون أكبر قوة تربوية فى العالم العربى كله. وبحكم أن مصر كانت أول دولة عربية تمنح كلياتها درجة الدكتوراه فى التربية وعلم النفس، فإن أثر أساتذة التربية فى مصر قد تعدى الإطار الوطنى المصرى إلى الإطار القومى العربى.

ولعل هذا الأثر قد ترك بصماته على النظام التعليمى المصرى والعربى بدرجات متفاوتة تستحق الدراسة والتحليل.

وإذا كان هذا هو حجم أساتذة التربية فى مصر كمًا وكيفًا من حيث التأثير على مستوى الوطن والأمة، فهل نستطيع القول أن أساتذة التربية فى مصر قد قاموا بواجباتهم تجاه الوطن والأمة؟ وهل كانت جهودهم منظمة وفق أولويات قومية ووطنية أم أنها كانت جهوداً مبعثرة يعوزها التخطيط ووضوح الهدف وحسن الإدراك لفقه الأولويات التربوية كما تحددها ظروف الأمة العربية والإسلامية؟

ورغم أننا ندرك أن إصدار أحكام عامة على مثل هذا العدد الهائل من الأساتذة ـ خمسة آلاف أستاذ ـ هو عمل غير دقيق علميًا، وأنه يحتاج إلى حصر شامل للجهود العلمية والعملية التى قدمها هذا الكم الهائل من الأساتذة، ووضع هذا العدد الهائل تحت تصنيفيات محددة: مثل أساتذة مدرسون يقتصرون على أداء وظائفت التدريس فقط، وأساتذة باحثون يركزون معظم جهودهم على التأليف والإشراف والبحث العلمى، وأساتذة رواد أو أصحاب رسالة وطنية وقومية لا يقصرون جهدهم على التدريس والتأليف وإنما يتعدون ذلك إلى الانشغال الكامل بقضاياهما ويجعلون الوظيفة الأولى (التدريس) والثانية (التأليف والبحث العلمى) فى خدمة الوظيفة الثالثة الأصيلة وهى (النهوض بالوطن والأمة) والانشغال الكامل بقضايا الوطن والأمة. وإلا فما جدوى العلم والبحث العلمى إذا لم يكونا

بالدرجة الأولى فى خدمة الوطن وحل مشكلاته وتحقيق آماله وطموحاته.

وحتى تلك الوظائف الثلاث التى تذكر دائمًا كلما ذكر التعليم الجامعي: التدريس، والتأليف والبحث العلمى ثم خدمة البيئة والمجتمع، أى تدريس نقصد؟ وفى مجال العلوم التربوية بالذات أى علوم تربوية تلك التى ندرسها لطلابنا؟ ما مدى مصرية وعربية وإسلامية تلك العلوم أم أنها علوم مترجمة أو مأخوذة من الشرق أو من الغرب وليس لها من العروبة إلا الكتابة بحروف عربية، وليس لها من الإسلام إلا بداية الكتاب الجامعى ببسم الله الرحمن الرحيم، هذا إذا بدأ الكتاب أصلاً بذلك.

لقد أجرى صاحب هذا المقال حصراً سريعًا للكتب التربوية الموجودة بمكتبة إحدى الكليات التربوية التى كان يعمل بها فى إحدى دول الخليج فوجد أن تلك المكتبة تحتوى على ٣٧٨ كتاباً تربوياً، من بينها ٨١ كتاباً مترجمًا تمثل نسبة ٢١,٥ ٪ من مجموع عدد الكتب الموجودة بالمكتبة وباقى الكتب من المفروض أنها مؤلفة. فإذا رحنا نتصفح تلك الكتب لوجدنا خلو معظمها من أى روح عربى أو إسلامى. وإذا استثنينا ٤٠ كتاباً فقط تمثل ١٠ ٪ من مجموع عدد الكتب الموجودة بالمكتبة ورد الحديث فيها عن التربية الإسلامية من منظور تاريخى وليس من منظور أيدولوچى إسلامى واضح، لأدركنا كيف أن ٩٨,٥ ٪ من الكتب التربوية المقدمة لطلابنا فى تلك الكلية النموذج ـ لمكتبات كلياتنا التربوية ـ لا يرد فيها على الإطلاق أى ذكر لخصوصيتنا العربية والإسلامية ولا أى إبراز

لهويتنا الحضارية[٢].

وإذا كانت الكتب التربوية خالية من الأثر الإسلامى، وهذا مفهوم، رغم عدم الموافقة الكاملة على هذا الاتجاه فى ترجمة العلوم التربوية والنفسية. إذ من الممكن أن يوضح المترجم وجهة النظر الإسلامية فى بعض المواضع المترجمة التى تتطلب ذلك مثل رأى الإسلام فى الطبيعة الإنسانية عند الحديث عن الطبيعة الإنسانية عند هذا الفيلسوف التربوى أو ذاك، أو عند الحديث عنها لدى المذاهب التربوية المختلفة: المثالية، الواقعية البرجماتية، والوجودية وغيرها وكذلك الأمر عند الحديث عن القيم ونظرية المعرفة، والأهداف التربوية .. إلخ وهذا أمر نادر الحدوث فى الكتب التربوية المترجمة التى يقرأها طلابنا فى كليات التربية، مما يترك طالبنا المعلم وجهاً لوجه أمام تلك الأفكار الوافدة بدون فكر إسلامى أصيل يستطيع أن يتعامل معها التعامل العلمى السليم: أخذ ورفضا، تقديراً ونقداً. وهذا من أول واجبات التدريس الجامعى بصفة عامة والتدريس فى كليات التربية بصفة خاصة.

ومن المؤسف أن التأليف فى العلوم التربوية لا يفترق كثيراً فى معظم الأحوال عن الترجمة الحرفية فى نقله المباشر من الفكر التربوى الوافد دون أن تظهر ذاتية الباحث المؤلف، مما ينقل الطالب المعلم إلى أجواء فكرية غير إسلامية ويشعره بالاغتراب عن ثقافته ومجتمعه. وإذا كان طلابنا يشتكون من أن العلوم التربوية والنفسية التى يدرسونها فى كليات التربية انما هى

مجرد أفكار نظرية ولا علاقة لها بالواقع التربوى ومشكلاته[٣]، فإن من أسباب ذلك بدون شك غربة تلك العلوم التربوية عن الواقع الثقافى العربى والإسلامى، وهى غربة لن تزول إلا بإعادة كتابة وتدريس تلك العلوم من منظور إسلامى صحيح يمثل ثقافة الوطن والأمة.

وإذا كانت هذه هى حال العلوم التربوية التى تدرس لطلابنا وهذا هو تأثيرها المضر على عقولهم وشخصياتهم العلمية، فهل يستريح ضمير أساتذة التربية وهم يمارسون وظيفة التدريس من خلال تلك الكتب المؤلفة أو المترجمة بتلك الصورة التى تكاد تنزع ولاء الطلاب لوطنهم وثقافتهم وحضارتهم العربية الإسلامية، أم أن الواجب الأول لأساتذة التربية أن يعيدوا صياغة تلك العلوم التربوية والنفسية على اختلاف مقرراتها صياغة عربية إسلامية يمكن أن يستفيد بها الطلاب، وأن يستخدموها فى تطوير آداء عملهم المهنى مستقبلاً كمعلمين لأجيال هذا الوطن المصرى والأمة العربية المسلمة، والإسهام فى تيار إسلامية العلوم التربوية والنفسية الذى بدأ فى السنوات الأخيرة والذى يحتاج إلى جهد جميع أساتذة التربية لإثرائه وشيوع تأثيره حتى يكون لنا بالفعل مراجعنا العربية والإسلامية فى شتى مجالات العلوم التربوية والنفسية، وحتى نحرر أنفسنا بالكامل من دائرة التبعية الثقافية من مرحلة التقليد للغير إلى مرحلة الإبداع والإقلاع الحضارى[٤].

فإذا تركنا وظيفة التدريس الجامعى إلى وظيفة التأليف والبحث

والإشراف العلمى على رسائل الماجستير والدكتوراه فى العلوم التربوية والنفسية لما استطعنا أن نقلل من هذا الجهد الكبير الذى بذله أساتذة التربية فى مصر والذى تجلى فى كثير من الكتب التربوية والنفسية المترجمة والمؤلفة والتى تحتاج بالفعل إلى حصر وتقييم، وعطاؤهم الكبير من خلال المجالس القومية المتخصصة، ومئات الرسائل العلمية: ماجستير ودكتوراه التى أشرفوا عليها، والمؤتمرات التربوية التى عقدت فى مصر حتى كادت تصل إلى معظم كليات التربية فى مصر(٥)، إلا أن هذا الكم الهائل يندر أن يكون مؤثراً على مسار الإصلاح التربوى. فأساتذة التربية قد رضوا لأنفسهم بوظيفة التنظير وتركوا وظيفة التطبيق واتخاذ القرار التربوى لرجال الوزارة.

وقد يأخذ رجال الوزارة على أساتذة التربية أنهم فى بحوثهم لا يتناولون الواقع المعاش بل يميلون إلى عالم المثال التربوى، أو عالم الغير المتقدم دون أن يغرسوا أقدامهم فى مشكلات مصر التربوية الحقيقية. وربما كان لرجال الوزارة عذرهم طالما أن أساتذة التربية فى مصر حتى الآن لم يستطيعوا أن يقدموا الإجابات العلمية لقضايا الوطن والأمة التربوية.

وللأسف الشديد فإن أساتذة كليات التربية فى مصر رغم عددهم الكبير، وتأثيرهم العلمى والأدبى القوى وإنتاجهم العلمى الغزير إلى حد ما، لم يستطيعوا حتى الآن أن يكون لهم «سلطة علمية فعلية» ترعى مصالح الوطن والأمة التربوية. لقد وصل التعليم المصرى ـ حتى باعتراف المسئولين ـ وبجميع مراحله إلى صورة يرثى لها، بحيث أصبح هما مصرياً

قوميًا يهدد حياة كل مواطن. لقد أصبح كل مواطن فى مصر يشعر بعجز المدرسة والجامعة عن تعليم ابنه أو ابنته أو حسن رعايتهما وتوفير المناخ التربوى الملائم لإيجاد الأجيال المؤمنة بربها ووطنها والقادرة على مواجهة تحديات العصر. وبحيث أصبح مستقبل الوطن والمواطن مهدداً فى وجوده إذا استمر التعليم على هذا المستوى معلمًا ومحتوى ومبنى ومناخًا تعليميا .. وتتطلع الأمة كلها إلى أساتذة التربية فى مصر باحثين عن الإجابة العلمية لتلك المشكلات ليس هذا فقط، بل والتقدم باسم «قوة العلم» إلى ريادة هذا الإصلاح التربوى والإصرار عليه وتحمل مسئولياته.

تأسيسًا على ما سبق فإن من أهم واجبات أساتذة التربية فى مصر، أن يوجهوا كل دراساتهم وأبحاثهم ومؤتمراتهم لتغيير هذا الواقع التربوى وإنقاذ الأمة من براثنه، وأن يعملوا بكل إخلاص وبأسرع وقت ممكن على أن تكون لهم (نقابة أساتذة التربية فى مصر) والتى تعمل بنفسها على ربط حركة التأليف والبحث التربوى بقضايا الوطن والأمة الحقيقية. وتقف أمام أى محاولة لتحويل هذا الجهد إلى مجرد ترف فكرى، أو إنتاج من أجل الإنتاج أو الترقية أو لقمة العيش أو حتى الاعتراف العلمى من سلطات علمية وراء البحار. كذلك فإن تلك «النقابة» سوف تحول دون أى محاولة فى المستقبل لاتخاذ قرارات تربوية «تؤثر فى العملية التربوية فى غيبة أهل العلم» أو من وراء ظهر أو أحيانًا رغم أنف «سلطة العلم» مما يعد هدراً لأغلى ما تملكه الأمة من إمكانيات ممثلة فى «عقول أساتذتها»[٦].

وأخيراً نأتى إلى أهم قضية على الإطلاق وهى قضية خدمة البيئة وتنمية المجتمع لنكشف مدى الجرم الذى يمكن أن يلحق بالوطن والأمة عندما ينشغل علماء الأمة التربويون بمهام الوظيفة بعيداً عن هموم الوطن وقضاياه بدعوى الاهتمام بالتدريس، أو الاهتمام بالتأليف والبحث العلمى أو حتى بدعوى «حيادية العلم» وعدم إقحام العمل العلمى فى مجالات السياسة أو غوايات التمويل وإغراءات المناصب لنؤكد على أنه لا خير فى علم لا يفيد الوطن ولا يكون فى خدمة قضايا الأمة.

ونحب أن نلفت النظر هنا إلى أن لمصـــر بالذات دورها العـــربى والإسلامى، وهويتها العربية والإسلامية. وفى ظل المتغيرات الدولية والقومية هناك محاولات لعزلها عن دورها العربى وتعريتها من هويتها الإسلامية. ولن تكون مصر بدون العروبة والإسلام شيئاً مذكوراً ... من هنا تأتى أهمية الثقافة الإسلامية الصحيحة للمواطن المصرى إنها العمود الفقرى لشخصيته وأداة التوحيد الثقافى والتماسك الأيدولوچى القادر على مواجهة تحديات تلك المرحلة التى نمر بها[٧]. من هنا تأتى أهمية التفرقة بين الالتزام الإسلامى القوى وبين التعصب والإرهاب. فالالتزام الإسلامى القوى يعنى امتثال الفرد الواعى وتطبيقه لتعاليم الإسلام كما وردت فى القرآن الكريم والسنة وكما طبقها السلف الصالح. أما التعصب فيعنى نوعاً من العقيدة أو الحكم لصالح أو ضد شيء أو شخص أو جماعة أو مبدأ أو فلسفة أو دين أو جنس معين بدون أدلة قوية. والإرهاب هو استخدام القوة لفرض ما يتعصب له الفرد[٨] وقطعاً نحن نحتاج الالتزام الإسلامى القوى فى تلك

المرحلة التاريخية. ولذلك تأتى أهمية وضرورة إعداد معلم خاص للتربية الإسلامية، وأهمية إيجاد مادة الثقافة الإسلامية لتدرس فى جميع المعاهد والكليات. إن الثقافة الإسلامية الصحيحة فى جميع مراحل التعليم بما فيها التعليم العالى والجامعى هى سبيلنا القومى لإيجاد المواطن المسلم الملتزم القادر على فهم دينه وتطبيقه فى سماحة ويسر، وإيجاد معلم التربية الإسلامية القادر على إقناع الطلاب والتأثير فيهم. وأساتذة كليات التربية فى مصر مطالبون شرعًا ومهنة بالدعوة إلى كل ذلك وحمل أمانة توضيحه وضرورة تطبيقه.

كذلك فإن أساتذة التربية فى مصر ينبغى عليهم ألا يسمحوا بأى نوع من أنواع الردة التعليمية عن نشر التعليم وتيسير الحصول عليه لأكبر عدد من أبناء مصر بما فى ذلك التعليم العالى نفسه. كما ينبغى ألا تضللنا الشكوى من كثرة عدد خريجى المعاهد والجامعات. فمازال التعليم العالى عندنا لا يستوعب إلا ١٩,٨ ٪ ممن هم فى سن التعليم العالى بينما يستوعب ٢٦,٦ ٪ فى الأردن، ٣٤,١ ٪ فى إسرائيل، ٥٩,٦ ٪ فى أمريكا[٩]. وعلى رجال التربية فى مصر أن يؤكدوا على دور الدولة فى توفير الميزانيات اللازمة لنشر التعليم بجميع مراحله وتيسيره لأكبر عدد من أبناء الوطن، مع ضرورة تحسين نوعية هذا التعليم حتى يفى بحاجات الوطن والأمة.

ولعل أساتذة التربية فى مصر يحاولون الاستفادة من تجربة الأوقاف

الإسلامية التاريخية فى تمويل التعليم المصرى. إن الشعب المصرى قادر على العطاء إذا آمن بالهدف، ووجد القدوة، ووثق بنزاهة القائمين على الأمر. ولقد أعطى بعض أفراد الشعب مبالغ هائلة لإنشاء كليات التربية النوعية فى مصر، كما تبرع الكثيرون ببناء مدارس حكومية ومراكز طبية وتعليمية هنا وهناك. وإن حملة قومية صادقة يقودها أساتذة التربية فى مصر لإيجاد أوقاف تعليمية يمكن أن يكون أحد البدائل لجلب بعض المال اللازم لتطوير التعليم المصرى وإصلاحه.

هذه بعض الأفكار العامة حول أولويات واجبات أساتذة التربية فى مصر كما وردت فى خاطرى. وتحت كل أولوية من هذه الأولويات تأتى واجبات أخرى عديدة حتى يمكن تحقيق تلك الأولوية. ويكفى أن نذكر هنا مثلاً واحداً بأولوية إسلامية العلوم التربوية والنفسية وما يمكن أن يندرج تحت تلك الأولوية من واجبات عديدة وقس على ذلك الأولويات المذكورة فى هذا المقال. كذلك يلزم فى النهاية أن نشير هنا إلى أننا ندرك أن أساتذة التربية فى مصر لا يملكون العصا السحرية التى تقول للشىء كن فيكون، وأنهم ليسوا وحدهم بالقادرين على تحقيق تلك الأولويات. وأنهم جزء من كل مجتمعى متكامل، إلا أن هذا كله فى نظرنا لا يمنع أن يكون لأساتذة التربية فى مصر دورهم القيادى فى الإصلاح التربوى وتغيير حال الأمة من المرض إلى الصحة، ومن الفرقة إلى الوحدة ومن الضعف إلى القوة. فهل هم فاعلون.

* * *

المراجع والمصادر

١ - انظر يوسف القرضاوى: **فى فقه الأولويات، دراسة جديدة فى ضوء القرآن والسنة**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٥.

٢ - عبد الرحمن النقيب: **التربية الإسلامية رسالة ومسيرة**، دار الفكر العربى، القاهرة ص ١١٢.

٣ - ترددت تلك الشكوى من معظم المواد التربوية بوصفها الحالى. انظر مثلاً: عبد الرحمن النقيب، إسماعيل محمد دياب: **التأهيل التربوى فى مصر، دراسة تقويمية لإحدى الدورات**، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٣٤، ص ٣٥.

٤ - ظهرت الدعوة إلى «إسلامية المعرفة» بصفة عامة، ثم ما لبثت أن انتقلت إلى حقل التربية ويرجع فى ذلك إلى:

* المعهد العالمى للفكر الإسلامى: **إسلامية المعرفة، المبادىء العامة، خطة العمل، الإنجازات**، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، واشنطن، ١٩٨٦.

* عبد الرحمن صالح عبد الله: **التوجيه الإسلامى للعلوم التربوية**، دار المنار - جدة ١٩٨٦.

* عبد الرحمن النقيب: «دراسة العلوم التربوية من منظور إسلامى»،

إسلامية الكتاب الجامعى فى الإدارة التربوية» فى **التربية الإسلامية رسالة ومسيرة**، مرجع سابق ص ١٠٧ ـ ص ١٥٤.

٥ - انظر على سبيل المثال لا الحصر: أكاديمية البحث العلمى والتكنولوچيا: **دراسة تقويمية للبحوث التربوية والنفسية منذ الثلاثينات ـ التقرير النهائى**، حيث نجد مئات الرسائل الجامعية فى التربية وعلم النفس، وأيضًا **موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ ـ ١٩٨٩**، ج ٦، ج ٧ حيث نجد فكرًا تربويًا تناول معظم مشكلات التعليم المصرى وكيفية الحل.

٦ - عبد الرحمن النقيب: «طريقة اتخاذ القرار التربوى فى مصر: نظام الفصلين الدراسيين دراسة حالة فى «**التربية الإسلامية فى مواجهة النظام العالمى الجديد**»، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٦.

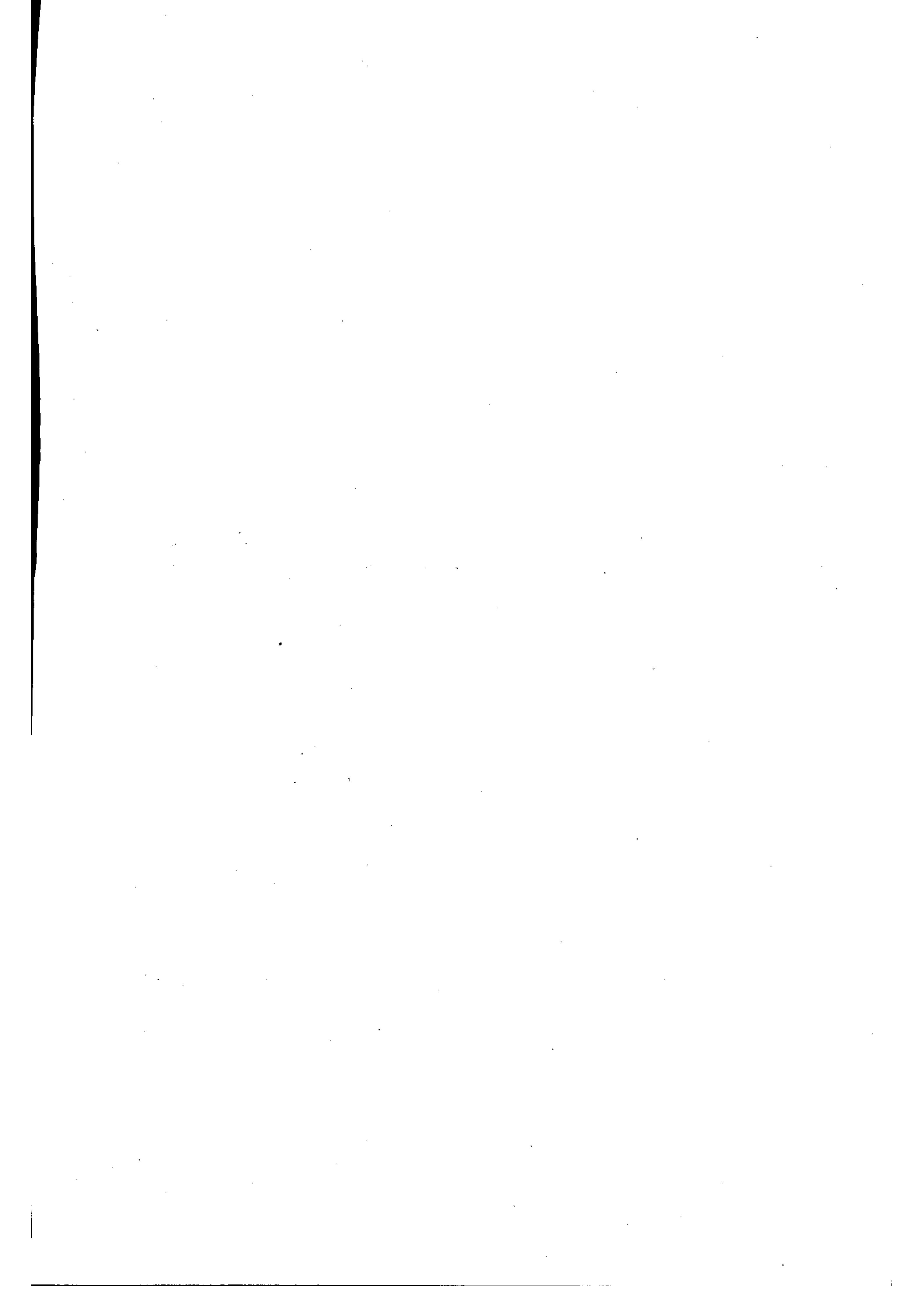
٧ - لمزيد من التفاصيل راجع، عبد الرحمن النقيب: «ثقافة الطفل العربى الإسلامية والعلمية» فى **التربية الإسلامية رسالة ومسيرة**، مرجع سابق، ولأهمية إعداد معلم تربية دينية متخصص فى كليات التربية، راجع مصطفى رجب سالم: برنامج مقترح لإعداد معلم التربية الدينية فى كلية التربية رسالة دكتوراه، كلية البنات جامعة عين شمس، قسم المناهج وطرق التدريس ١٩٨٧. ولأهمية إيجاد برنامج فى الثقافة الإسلامية بالجامعات المصرية انظر: زين محمد شحاتة محمد: بناء برنامج فى الثقافة الإسلامية وقياس مدى فاعليته فى كسب المعلومات

وتعديل الاتجاهات الدينية، رسالة دكتوراه، كلية التربية جامعة المنيا، قسم المناهج وطرق التدريس ١٩٨٧ ولأهمية الثقافة العربية والإسلامية فى صراعنا العربى الإسرائيلى، ومدى اهتمام إسرائيل بالثقافة اليهودية (اللغة والدين والتاريخ) انظر: عارف توفيق عطارى: **التربية اليهودية فى فلسطين المحتلة والدياسبورا**، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٧، عبد الله عبد الدايم وآخرون: **الأبعاد التربوية للصراع العربى الإسرائيلى**، وقائع المؤتمر العلمى الذى نظمته كلية التربية بجامعة الكويت مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦.

٨ - فى الفرق بين الالتزام الإسلامى القوى والتعصب انظر عبد الرحمن النقيب: **الالتزام الإسلامى لدى الشباب الجامعى**، بحوث فى التربية الإسلامية، الكتاب الثانى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٤، **مقياس مدى الالتزام الدينى لدى الشباب المسلم**، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣، **بعض القوى والعوامل المؤثرة على التدين الإسلامى لدى الشباب الجامعى دراسة ميدانية**، دار الفكر العربى، ١٩٨٣.

٩ - وزارة التربية والتعليم: **مبارك والتعليم نظرة إلى المستقبل**، مطابع روز اليوسف الجديدة، القاهرة، ١٩٩٢.

ملاحـق



واقعنا التربوى المعاصر

« وجهة نظر »

لقد عرفت مصر ألواناً متعددة من التعليم خلال هذا القرن العشرين، عرفنا التعليم الأزهرى بكل معاهده، وكلياته، وعرفنا التعليم الحكومى بكل مؤسساته ومنشآته، وعرفنا التعليم الأجنبى والتعليم المصرى الخاص، وشاهدنا نتاج كل لون من ألوان هذا التعليم. ويكفى القول أن محصلة هذا التعليم كله، بكل أنواعه وألوانه هو من الناحية السياسية؛ لم يحقق بعد الحياة الديمقراطية الحقة التى كنا نحلم بها منذ بداية هذا القرن، ولم نحرر أوطاننا تحرير القادرين، ولسنا أحراراً اليوم حتى فى أجزاء الوطن التى نعيش عليها، ولم نعمق روح الود بيننا وبين إخواننا العرب، ولا إخواننا المسلمين، ولم نبن بعد حتى «دولة مصر» القوية القادرة المتحضرة، وأين دولة مصر الآن سياسياً، ودويلة صغيرة مصنوعة كإسرائيل؟

ومن الناحية الاقتصادية؛ لم نحقق بعد أى معدل عالمى من معدلات الكفاية أو معدلات الإنتاج أو معدلات الرخاء، ومازلنا عالة فى كثير من شؤون حياتنا، نتكفف الآخرين مرة على موائد الشرق الملحد، وأخرى على موائد الغرب الباغى الأثيم.

ومن الناحية الاجتماعية؛ لم نوطد بعد أواصر الحب بين أفراد الشعب،

ولم نرتفع بمستوى القيم والأخلاق على أرض الوطن، وضاعت هيبة الدين فى النفوس، فضاعت من حياتنا كل المعانى السامية وكل القيم التى تستحق من أجلها أن تكون الحياة حياة.

كل هذا قليل من كثير، من بحر واقعنا المر الذى نرجعه ـ فى الدرجة الأولى ـ إلى واقع التعليم، أو قل مأساة التعليم فى العصر الحديث. نعم، نحن لا ننكر أن هناك مشاكل داخلية ترجع إلى الواقع السكانى أو الجغرافى، ونحن لا ننكر أن هناك مؤمرات خارجية، ترج إلى الأطماع والمخططات العالمية للاستيلاء على ثروات تلك المنطقة ومنها مصر، إلا أننا نؤمن ـ كل الإيمان ـ أن معالجة هذا الواقع الداخلى أو الخارجى عن طريق التعليم كان ممكناً لو قدر لهذا التعليم أن يقع فى أيد أمينة تعيش يومها، نهارها وليلها، من أجل تعليم أجيال هذا البلد، كيف يواجه التحدى الداخلى والتآمر العالمى الخارجى. إن العائد من التعليم المصرى بكل أنواعه وخلال قرن من الزمن عائد هزيل، إذا قيس بالمنصرف على هذا التعليم، وإذا قيس بالنتائج التى حققها لأفراده ومجتمعه المصرى.

إن التعليم فى مصر بكلمة موجزة: لم يرتفع إلى مستوى طموح الشعب المصرى، ولم يعد هذا الشعب الإعداد السليم لتطوير واقعه، ومواجهة تحديات عصره، ومعرفة العدو الحقيقى والصديق الحقيقى لهذا الوطن.

إن التعليم فى مصر حتى الآن قد هزم فى ميدان السياسة، وهزم فى

ميدان الاقتصاد، وهزم فى ميدان الاجتماع والقيم والأخلاق. لقد هزم هذا التعليم فى مجموعة، ولا يعفيه من هذا الحكم ـ الذى يبدو قاسيًا ـ ظهور أفراد هنا وأفراد هناك كانوا من نتاج هذا التعليم ظاهرياً، ولكنهم فى الغالب الأعم كانوا فوق هذا التعليم، وأعظم من أن تصيبهم سيئاته وأخطاؤه.

ولقد يكون من المؤسف حقًا أن نقرر هنا أننا إذا رحنا نستعرض أسماء عظماء هذا القرن، لم نجد فيهم واحداً إلا وقد استطاع بنجاح أن يهرب من أخطاء التعليم الذى تلقاه، سواء كان تعليمه أزهرياً، أو حكوميًا، أو أجنبياً، أو تعليماً خاصاً.

والذى نريد أن نقوله هنا هو: أن التعليم المصرى فى مجموعه جنى جنايات قومية وسياسية واقتصادية واجتماعية على هذا البلد، وأننا مطالبون أن نصحح هذا الوضع ونحاول إبراز نوع جديد من التعليم يحقق لنا النجاح الاقتصادى، ويسهم فى تدعيم السلام الاجتماعى، والرقى الأخلاقى على أرض هذا الوطن.

وبعد دراسة فى تاريخ التعليم فى مصر، وقراءة وتأمل فى ميدان التربية، أتاحها لنا تخصصنا فى هذا الميدان، سواء فى مرحلة الماجستير فى الداخل، أو مرحلة الدكتوراه فى إنجلترا، ومن خلال مراقبتنا للتعليم فى مصر والقراءة عنه، فإننا نقترح لإنقاذ الوضع التعليمى فى مصر حالياً ما يأتى:

أولاً:

تعميم دور الحضانة كمرحلة تسبق التعليم ، وتهتم تلك الدور بالطفل المصرى من سن الثالثة وحتى الخامسة من عمره، وتقدم له الرعاية الجسمية والصحية، وتكسبه العادات والتقاليد الإسلامية الأصيلة، وتؤهله نفسياً وعقلياً للدخول فى مجتمع المدرسة فى سن الخامسة.

إن ظروف البلاد الاقتصادية والثقافية ـ حاليًا ـ تحول فى كثير من الأحيان دون أن يحصل الطفل المصرى على أى رعاية فى تلك السن من أسرته، إنها غير قادرة على ذلك اقتصادياً وتربوياً وثقافيًا؛ ولذا فنحن مطالبون بإنقاذ فلذات أكباد هذا الوطن من الضياع والفقر والجهل الذى يعيشه الغالبية العظمى من أبناء الشعب فى القرى والمدن. لقد آن الأوان أن نرعى هذا الطفل المصرى تربوياً ونفسيًا وصحيًا، وكفاه حرماناً وتجاهلاً حتى اليوم إذا قورن بكل أطفال العالم المتمدن.

ثانياً:

يبدأ التعليم فى مصر من الخامسة وحتى الرابعة عشرة ـ وهى السن التى تظهر فيها بعد ذلك الميول والاتجاهات والقدرات الخاصة ـ ويكون هذا التعليم أيضاً تعليماً عاماً بالمجان، ويركز على اللغة العربية والدين الإسلامى والجغرافيا والتاريخ العربى والإسلامى والعالمى والعلوم والحساب والرياضيات والتربية الرياضية والفنية، وكذلك تقدم فى تلك المرحلة لغة أجنبية من إحدى اللغات العالمية، وبجوار تلك الدراسات النظرية فلابد من الاهتمام

بتنمية المهارات العملية واليدوية لدى الطلاب، بحيث يستطيع كل طالب بانتهاء تلك المرحلة أن يكسب قوت يومه من مهنته أو حرفته.

وسيكون هدف تلك المرحلة: إعداد المواطن ذى الولاء الإسلامى أولاً، والعربى ثانيًا، والمحلى ثالثًا، وإكسابه المهارات والقدرات التى تمكنه من العمل المنتج إذا اختار العمل، أو مواصلة الدراسة والتعليم إذا كان كفئًا لذلك.

ثالثًا:

لا يكون التعلم بعد ذلك إلا بالاختيار، وفق قدرات الأفراد العلمية والعملية من ناحية، ووفق احتياجات المجتمع الحقيقية لمختلف التخصصات، وسيكون ذلك عن طريق معاهد أو مدارس ذات طابع خاص؛ تكنولوچى صناعى، تكنولوچى زراعى، تكنولوچى تجارى، تعليم نظرى عام، إلى آخر التخصصات التى يريدها المجتمع، وتقبل تلك المعاهد والمدارس ذات الطابع الخاص الأعداد التى تريدها من طلبة المرحلة الأولى، وذلك وفق اختيارات خاصة بكل معهد أو مدرسة، أو اشتراطات علمية أو عملية محددة، ويكون لكل مؤسسة من تلك المؤسسات مناهجها، وتدريباتها، وعدد سنواتها، ومؤهلها، والوظائف المحددة التى تعد لها فى المجتمع، وهذا النوع من التعليم يعد الخريجين للعمل أو مواصلة الدراسة والتعليم بالمرحلة التالية.

رابعًا:

تأتى بعد ذلك المرحلة العالمية أو الجامعية، والتى ستكون مقصورة على

الأعداد التى يريدها المجتمع وتنتقى انتقاء من طلاب المرحلة السابق، سواء فى الميادين النظرية أو الميادين العملية والتكنولوچية، وإذا كانت موجة الكم لابد أن يوضع لها حد فى تلك البلد، فإن موجة الكيف لابد أن تسيطر إلى أبعد الحدود، بحيث يكون مستوى الخريج لائقًا بدولة تواجه جميع أنواع التحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

خامساً:

بالنسبة للتعليم الأزهرى، فهو يحتاج إلى تغيير ثورى ليرتفع إلى مستوى العصر، وينبغى أن يبدأ بعد المرحلة الأولى ـ الرابعة عشرة ـ وليس قبلها بأى حال من الأحوال، ولا يقبل هذا التعليم إلا ذوى الميول الإسلامية الأصيلة، والذين أثبتوا قدرات خاصة بهذا المجال خلال المرحلة الأولى أو المرحلة الثانية، أو حتى الجامعية، ويتخصص هذا التعليم فى العلوم العربية والإسلامية، وكل ما يتصل بالعالم الإسلامى وشؤونه وأقلياته، ويعد الدعاة، والقضاة، والمشرعين، ورجال التوجيه، ومعلمى الدين الإسلامى، والتاريخ الإسلامى، والحضارة الإسلامية فى جميع المراحل التعليمية فى مصر، وينبغى أن يدرس الأزهر لغتين؛ إحداهما لغة أجنبية عالمية، والأخرى إحدى اللغات الإسلامية كالفارسية والتركية والأردية ... إلخ، وتبنى الدراسات الأزهرية عمومًا على التحليل والنقد، وليس مجرد الحفظ والتقليد والنقل، سواء بالمراحل المتوسطة أو الجامعية أو الدراسات العليا.

سادساً:

لابد أن يكون الدين الإسلامى والتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية جزءاً أساسيًا من إعداد كل مواطن وعلى جميع المستويات التعليمية، من المرحلة الأولى إلى المرحلة الجامعية، ولابد من بعث الروح الإسلامية من جديد، وخلق الولاء للإسلام ودولة الإسلام، ولن ننجح فى ذلك إلا بتوفير المنهج الدراسى المؤثر المتكامل، والمعلم الكفء الذى يمكنه تدريس تلك المقررات بنجاح وإخلاص. ومن هنا نلفت النظر إلى ضرورة الاهتمام بمناهج الدين والتاريخ والحضارة الإسلامية، وكذا إعداد المدرس القادر على تدريسها بنجاح واقتدار.

سابعاً:

لابد من إعادة النظر فى إعداد المعلم المصرى عمومًا فى جميع المواد الدراسية وعلى جميع المستويات التعليمية بمصر، بحيث يكون قدوة فى السلوك والخلق، متمكناً فى مادته العلمية، ملماً بتطورات العصر فى تلك المادة، قادراً على إيصالها تربوياً ونفسيًا لطلابه. وهنا نقرر بكل ثقة أن معاهد وكليات التربية، بوضعها الحالى فى مصر، لا تعد المعلم المطلوب، وأن تلك الكليات والمعاهد ينقصها الكثير إسلامية وعلميًا وتربوياً حتى يمكنها تخريج المعلم المنشود.

وكذا فإن رواتب المعلمين فى مصر رواتب هزيلة، ولا تعتبر حافزاً على إجادة العمل أو عنصر جذب الكفاءات العلمية القادرة لاختيار تلك المهنة؛

ولذا نقترح ألا يقل راتب المعلم المصرى فى جميع المراحل عن رواتب رجال القضاء ورجال الجامعات ورجال الجيش. إن المعلم المصرى لابد أن يأتى حقيقة على مقدمة السلم الاجتماعى، فهذا حقه، وهذا واجبنا نحوه إذا أردنا إنقاذ مصر من واقعها التربوى المؤسف.

ثامناً:

لابد من إنشاء مركز تربوى نفسى إسلامى، يكون من واجبه بَثُّ الفكر التربوى الإسلامى الأصيل، وذلك عن طريق مسح شامل لكتب تراثنا التربوى الإسلامى، سواء داخل عالمنا الإسلامى أو خارجه، ثم جمع تلك المخطوطات بالشراء أو بالتصوير، ثم تحقيق ونشر، هذا التراث وتقديم ذلك كله إلى رجال التربية فى مصر، وفى نفس الوقت يكون من واجبات هذا المركز الاطلاع على الفكر التربوى والنفسى العالمى، ومحاولة الاستفادة من هذا الفكر وتطويره ليناسب مجتمعاتنا الإسلامية، وكذا يكون من مهام هذا المركز القيام بالدراسات الكافية عن التربية فى كل أنحاء العالم الإسلامى؛ الواقع، والمشكلات، وإبراز كيفية التعاون التربوى بين بلدان العالم الإسلامى.

ويصدر هذا المركز مجلة تربوية نفسية يضمنها خلاصة أبحاثه فى تلك الميادين ويرسلها إلى كل معلمى القطر وطلاب التربية ورجالها، عن طريق اشتراكات رمزية تقطع من المرتب تلقائياً، أو رسوم تحصل سنوياً مع الرسوم الجامعية أو الدراسية بالنسبة لطلاب المعاهد والكليات التربوية.

تاسعاً:

يكون هذا المركز التربوى النفسى الإسلامى مسؤولاً عن عمل اللقاءات اللازمة بين رجال التربية فى مصر، لتبادل الآراء والأفكار، وعمل الحوار العلمى المناسب من وقت لآخر، وكذا عمل الندوات والمعسكرات، وإصدار الدوريات والنشرات التى يراها مناسبة لرفع الكفاءة العلمية والمهنية للمعلم المصرى، وكذا يكون لديه المكتبة الإسلامية والتربوية والنفسية العالمية التى تمكن الباحثين وغير الباحثين من الدراسة والنمو العلمى والإسلامى والتربوى، وكذا الخبراء المتفرغين الذين يمكنهم الإشراف العلمى والمساعدة على التوجيه إلى متطلبات الدراسات العليا فى تلك المجالات.

ويقدم هذا المركز خدماته المختلفة وتوجيهاته التربوية والعلمية لكل راغب سواء كان فرداً أو دولة أو هيئة.

عاشراً:

بجوار هذا التعليم الرسمى، لابد من تشجيع كل أنواع التعليم الشعبى، سواء فى المساجد أو الجامعات المفتوحة أو مراكز التدريب، أو البرامج التى تقدمها المعاهد والجامعات المختلفة، ويكون هذا التعليم الشعبى هدفًا إلى رفع المستوى الثقافى والتكنولوچى لكل أفراد الشعب. ولقد آن الأوان للاهتمام بهذا النوع من التعليم، كما فعل المسلمون فى عصورهم الزاهرة، وكما تفعل دول العالم المتقدم اليوم.

حادي عشر:

لابد من عمل جهد مكثف لمحو الأمية فى مصر فى خلال عشر سنوات ـ على الأكثر ـ من الآن. ورغم أننا نملك حوالى ١٥ مليوناً من الأميين، منهم ٧٠٪ من الإناث، إلا أننا نملك فى نفس الوقت نصف مليون طالب جامعى بجوار ربع مليون وموظف من الحاصلين على مؤهل عال ومتوسط، ويمكن استغلال الكثير من جهود هؤلاء المثقفين فى مصر لمحو أمية الأميين إذا صدق العزم، ووضعت المشكلة فى وضعها الحقيقى، وأدرك الجميع خطورة تلك الأمية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. ولدى الباحث خطة يظنها واقعية وممكنة لمحو الأمية فى مصر خلال عشر سنوات.

وأخيراً: فهذه مجرد أفكار عامة، تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، ومجرد وجهة نظر يعرضها صاحبها عسى أن تكون دافعًا إلى مزيد من التفكير فى واقعنا التربوى المعاصر، وكيفية تغيير هذا الواقع نحو الأفضل والأمثل.

* * *

خطة عملية مقترحة

لمحو الأمية فى مصر

مازالت مشكلة الأمية فى مصر تمثل وصمة عار فى جبين كل مسؤول سياسى وكل مثقف مصرى، ولعل الذى يضايق الإنسان فعلاً، أن الجهود التى بذلت حتى الآن لمحو الأمية فى مصر، لم ترتفع يومًا إلى مستوى المشكلة من ناحية، وكذلك فإنها لم تأخذ طابع الاستمرارية حتى تنتهى المشكلة. وإذا كان من السهل علينا أن نوجه أصابع الاتهام أو التقصير إلى كل مسؤول فى مراكز الفكر والتوجيه والتثقيف، وإلى كل رجال السياسة والاقتصاد والفكر فى هذا البلد، إلا أن مجرد توجيه النقد لا يمكن أن يكون غاية أى باحث منصف نزيه.

إن كل ما نرجوه ـ حقًا ـ هو أن نرى بلادنا وقد زالت تلك الوصمة الكريهة من جبينها المشرق الوضاء، وفى سبيل تلك الغاية فنحن لن نمل الحديث، ولن نمل تحريك الجهود والطاقات نحو تلك الغاية، ودعنا نكون صرحاء مع أنفسنا واضحين مع الله ومع الناس والوطن، ونقرر: أن هذا البلد لن يحقق التقدم المنشود إلا بمحو أمية أفراده كاملاً، وأن محو الأمية فى تلك البلد هو المقدمة الضرورية لاستغلال طاقات الأفراد وموارد البلاد

الاستغلال المنشود، وأن الذين يعطلون ركب «محو الأمية» فى مصر، أو الذين لا يعطون تلك المشكلة حجمها الطبيعى، إنما هم فى الواقع مخطئون فى حق «مصر» إما بدون قصد وعن جهل بطبيعة المشكلة وأبعادها الحقيقية، وإما عن قصد تدفعه نوايا آثمة وغير شريفة.

ودعنا أيضًا نكون صرحاء مع أنفسنا، واضحين مع الله ومع الناس والوطن ونقرر: أن هذا البلد يملك كل الإمكانيات المادية والبشرية التى يستطيع معها أن يمحو الأمية بالكامل فى خلال سنوات معدودات، ووفق تخطيط قومى وشعبى منظم. إن تلك البلد تملك من الأجهزة الحكومية الشعبية ومن الجماعات والمنظمات والنقابات ومن المفكرين والمثقفين ودور العلم ورجال التربية، ما يجعلها ـ بدون شك ـ قادرة على محو أميتها فى سنوات محدودة إذا صدق العزم وجندت هذه الطاقات، وهذا ما لم يحدث قط فى «تاريخ مصر»، منذ شعرنا بالمشكلة وحتى لحظة كتابة هذه السطور.

إنه لمن العار فعلاً أن يكون بمصر ـ حسب آخر إحصاء ـ خمسة عشر مليونًا من الأميين، منهم ٧٠٪ من الإناث أمهات هذا الوطن، بينما يملك هذا البلد ما يقرب من نصف مليون طالب جامعى، بجوار ربع مليون موظف من الحاصلين على مؤهل عال ومتوسط، أى أن بمصر ما يقرب من ثلاثة أرباع مليون مثقف مصرى، كان من واجبهم ألا يغفلوا واجبهم نحو محو أمية إخوانهم وأخواتهم على أرض الوطن.

إن أعداد المدارس فى مصر، وكذلك أعداد المعاهد والجامعات، وأعداد

العاملين بحقل التربية والتثقيف أعداد هائلة، وأرقام ذات دلالة، ولا أعرف حقًا لماذا لم توظف تلك الأرقام حتى الآن التوظيف المناسب لمواجهة تلك المشكلة الهامة فى حياة الشعب المصرى؟

إن الأمر لا يمكن أن يستمر على هذا المنوال، مجرد كلمات هنا، وخطب هناك، ولجان مشروعات وتوصيات، بل لابد من التدخل الحاسم من جانب الدولة، وكليات التربية فى مصر لمواجهة تلك المشكلة. إنه قل أن توجد محافظة الآن بدون وجود كلية تربية فيها، وأنا أعتقد أن مهمة «كلية التربية» فى كل محافظة ليست مجرد تخريج المعلمين فقط، وإعداد أساتذة الكليات والعاملين بها، بل إن من مهامها أيضًا التصدى لمشاكل الوطن التربوية والتعليمية، وعلى رأسها مشكلة «محو الأمية».

ولا ينبغى أن يقتصر دور الكليات فى هذا الميدان على مجرد تنبيه الطلاب، أو حتى الدولة إلى أهمية مشكلة «محو الأمية»، بل إن تلك الكليات مطالبة ـ وطنيًا وعلميًا ـ بأخذ زمام المبادرة والتصدى لتلك المشكلة بحثًا عن الحل الأمثل، وهى مطالبة بذلك «علميًا» ؛ لأنها تستطيع تجنيد كل الطاقات من موقع «المسؤولية العلمية» ؛ ولأن عمل تلك الجامعات، بل وكل معاهد التعليم، يقلل من عائده وجدواه وجود «الأمية» فى مصر.

والجامعات ـ وعلى رأسها «كليات التربية» ـ عندما تتصدى لحل تلك المشكلة، فإنها فى الواقع تقدم المناخ المناسب لتقدم التعليم فى مصر،

وخلق الافاعلية المطلوب بين المنزل والمدرسة والجامعة، وبمعنى آخر بين الشعب ومؤسساته التعليمية والتربوية.

إننى أطالب أن تتولى كل «كلية تربية» فى كل محافظة مسؤولية محو الأمية بالمحافظة فى خلال سنوات محدودة، وذلك بأن تقوم كل حكلية تربية لكل محافظة بعمل مسح شامل لعدد الأميين بالمحافظة ونوعياتهم، وأعمارهم ومواقعهم، وكذا عدد المدارس والمساجد والكنائس وعدد المدرسين وطلاب كليات التربية ومعاهد المعلمين بالمحافظة ... إلخ، ثم تضع الخطة العملية لمواجهة تلك المشكلة.

وفى تصورى أن المقترحات العامة التالية يمكن أن تكون مساعدة، وهى مقترحات قابلة للإضافة عليها أو النقص منها أو تعديلها وفق ظروف كل محافظة وهى:

أولاً:

إلزام كل خريجى الكيات الأزهرية بالعمل فى «محو الأمية» بالمحافظة لمدة عام ـ على الأقل ـ كخدمة إجبارية يمنح بعدها الخريج شهادة «الخدمة العامة» التى تكون بدلاً من شهادة «الخدمة العسكرية»، وتعتبر مثلها مسوغاً ضرورياً من مسوغات التعيين.

ثانياً:

إلزام كل خريجى الكليات الأزهرية بالعمل فى «محو الأمية» بالمحافظة

لمدة عام ـ على الأقل ـ كخدمة إجبارية يمنع بعدها الخريج شهادة «الخدمة العامة» التى تكون مسوغاً من مسوغات التعيين، ويجوز لخريجى كليات التربية والكليات الأزهرية العمل بمشروعات «محو الأمية» لمدد أطول من مدة «الخدمة العامة»، وتعتبر تلك المدد الزائدة مدة «خدمة عادية» يتقاضون عليها الرواتب المماثلة لرواتب زملائهم فى الوزارات والمصالح الحكومية، وتضم تلك المدد إلى مدة الخدمة العادية.

ثالثاً:

كل من لم يصبه الدور أو لم يدخل الخدمة العسكرية من ذوى المؤهلات العليا والمتوسطة لأى سبب من الأسباب، يكون ملزمًا بالاشتراك الكامل فى محو الأمية لمدة مكافئة لمدة «الخدمة العسكرية»، ويمنح «شهادة الخدمة العامة» التى يكون لها كل صلاحيات شهادة «الخدمة العسكرية» عند التعيين.

رابعاً:

فتح باب التطوع بين صفوف الشباب الجامعى والمعاهد العليا والمتوسطة للاشتراك فى مشروعات «محو الأمية» خلال الأجازات الصيفية، على أن تقدم لهم «الرواتب المجزية»، وكذا وسائل الترفيه، وتعطى لهم شهدات «خدمة عامة» يكون لها الأولوية عند التعيين، أو عند تحقيق رغبات التعيين بعد التخرج، أو تقديم بعض التسهيلات العامة كالمسكن الشعبى، أو قروض المحافظة للحج، أو الزواج وخلافه.

خامساً:

عمل معسكرات ميدانية لمحو الأمية الأبجدية لمدة «ستة أشهر فقط» لكل مواطن مصرى أمى فى كل المحافظات، يكون مهمتها محو أمية كل من أصابه الدور بالتجنيد، سواء دخل القوات المسلحة أو لم يدخل.

وتحسب تلك المدة من مدة «الخدمة العسكرية» لمن سيدخل القوات المسلحة، وتكون وحدة «المجند» مسؤولة عن متابعة برنامج «محو الأمية» بعد ذلك بالنسبة للمجند، أما الذين لن يخدموا ـ لأى سبب من الأسباب فى القوات المسلحة ـ فيقضون «ستة أشهر» أخرى لإكسابهم مزيداً من مهارات القراءة والكتابة.

سادساً:

كل محافظة مسؤولة عن وضع خطة لمحو أمية العاملين بالمصالح والدواوين الحكومية بها فى خلال سنوات محدودة، وذلك بتفريغ هؤلاء الأميين لحضور دورات محو أمية لمدة ستة أشهر فقط (محو الأمية الأبجدية)، ويكون ذلك بصورة دورية لا تعطل سير العمل، على أن توقف ترقيات كل أمى بعد مدة معينة تعلنها كل محافظة ـ عشر سنوات على الأكثر ـ بحيث لا يتباطأ أحد فى محو أميته.

سابعاً:

يمنع رسمياً أى تعامل بالأختام فى المصالح والدواوين الحكومية والبنوك

والشركات ... إلخ بعد مدة معينة تعلنها كل محافظة ـ عشر سنوات على الأكثر ـ بحيث يجد كل مواطن نفسه مضطراً إلى محو أميته إذا أراد قضاء معاملاته وحاجاته.

ثامناً:

يفتح باب التطوع مقدماً لكل محافظة للراغبين فى الاشتراك فى العمل على «محو الأمية» فى أوقات فراغهم، ويقدر لهؤلاء المتطوعين الأجور والمكافآت المجزية، ويكون لهم أولوية التمتع بخدمات المحافظة، سواء كان هؤلاء المتطوعون مدرسين أو عاملين فى حقل التعليم أو غيرهم، وكل محافظة أدرى بوسائل جذب المثقفين للاشتراك فى هذا المشروع القومى الهام حتى يتم «محو الأمية» بالكامل فى المحافظة بأسرع وقت ممكن.

تاسعاً:

تفرض كل محافظة رسوم «محو أمية» بالطريقة التى تراها مناسبة؛ سواء على الدخول أو السلع أو كليهما معًا، بحيث تكون الرسوم كافية «لمحو الأمية» فى خلال مدة لا تزيد عن عشر سنوات، ثم تنتهى تلك الرسوم بانتهاء الغرض منها.

عاشراً:

تفتح أبواب التبرعات المادية والعينية لهذا الغرض بقصد تشجيع الناس وربطهم بالمشروع، وتكون التبرعات موجهة لتحسين العملية التعليمية

بالمشروع، ولعمل الدعاية اللازمة لها، وتقديم الهدايا أو الجوائز للمتفوقين من الطلاب والعاملين بالمشروع.

حادى عشر:

تقوم الإذاعة المصرية ـ وكذا التليفزيون ـ بتقديم البرامج المناسبة لمحو الأمية، وكذا لرفع المستوى الثقافى لأولئك الذين محيت أميتهم الأبجدية فقط.

وتقوم وزارة الثقافة بطرح أعداد وفيرة من الكتب الخاصة بمحو الأمية، وكذا سلاسل متدرجة رخيصة الثمن وفى متناول يد الجميع، حتى يمكن لأولئك الذين محيت أميتهم الأبجدية أن يتابعوا تعليم أنفسهم فيما بعد، وتقوم وزارة الأوقاف بعمل الدعاية اللازمة للمشروع، ووزارة التربية بتقديم كل التسهيلات الممكنة.

وأخيراً: فإن كل أجهزة الدولة ومؤسساتها المختلفة، ووسائل إعلامها، وكل رجال الفكر والسياسة والاقتصاد على أرض الوطن، عليهم أن يشتركوا فى أداء هذا الواجب الوطنى، وفى مقدمة هؤلاء يجب أن يأتى دور رجال الدين والجماعات الإسلامية، وعلماء الأزهر، وخطباء المساجد، ورجال التربية والتعليم.... إلخ.

لقد آن الأوان أن نتحرك جميعاً من أجل وضع نهاية حاسمة لهذا العار الذى يهدد حاضر تلك الأمة ومستقبلها معًا، ويكفى مصر ما أصابها

سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا من جراء تلك الأمية. إن واقعنا الحالى بكل مشاكله لينادينا أشد نداء وأحر نداء لمعالجة جذور هذا الواقع «لمحو الأمية» فى مصر، فهل نتحرك لتلبية هذا النداء؟ أم نصم آذاننا، ونترك «مصرنا» الحبيبة فى جهالتها المفروضة عليها ظلماً وعدواناً، أو جهلاً ولا مبالاة؟!

* * *

تصور عام لإقامة مدارس إسلامية تجريبية

يكاد جميع رجال الفكر الإسلامى أن يتفقوا على حقيقة مؤكدة، وهى: وأن التربية المعاصرة، إما تربية حديثة وافدة، أو تربية تقليدية غير متطورة مع روح العصر، وكلا النوعين من التربية قد فشل فى بعث الأمة الإسلامية الناهضة ذات الرسالة السماوية الخالدة.

ومع وضوح تلك الحقيقة لكل رجال الفكر فإن القليل من الجهد والاهتمام قد أعطى لإنشاء مدارس نظامية إسلامية، إننى أرى أن الفكرة الإسلامية ينبغى أن تفرز فكراً تربوياً أصيلاً، وأن تنزل حقل التربية محاولة إنشاء حلقة من المدارس، ابتداء من رياض الأطفال وحتى المرحلة الثانوية، وذلك أن المولود البشرى يصل إلى مرحلة النضج بنهاية تلك المرحلة الثانوية، وإذا أحسنا تعليمه وتربيته حتى تلك المرحلة، فإنه قلما ينحرف أو يكون عرضة للاستهواء والمبادئ الهدامة.

ونحن عندما نطالب بمثل هذا المشروع التربوى الهام، نقول إن مثل تلك المدارس ستكون فى الواقع مدارس تجريبية، نجرب فيها من جديد كيف يربى الإسلام شبابه فى هذا العصر، وقد يفزع قوم عندما أقول هذا الكلام، ويقولون: وهل الإسلام فى حاجة إلى مدارس تجريبية لتعرف كيف يربى الإسلام شبابه؟ وهل تربية الإسلام للشباب اليوم سوف تختلف عن تربيته للشباب فى العصر الأول.

وأبادر وأقول: نعم رداً على السؤالين؛ فالإسلام حقيقة قد غاب عن حقل التربية فى عالمنا العربى والإسلامى منذ مدة طويلة، ومدارسنا وجامعاتنا ومؤسساتنا التربوية تعانى من هذا الغياب الطويل، وأطفالنا وفلذات أكبادنا محرومون من التربية الإسلامية الصحيحة، وإلا فأخبرونى عن المؤسسة التربوية الإسلامية التى تربى أولادنا تربية إسلامية صحيحة؟ أهى مدارس التعليم العام؟! أم هى المدارس الأجنبية؟! أم هى المعاهد الأزهرية؟! أم ماذا؟.

فهل بعد ذلك نخطئ عندما نقول: إننا فى حاجة إلى مدارس تجريبية، نجرب فيها من جديد كيف يربى الإسلام شبابه فى هذا العصر، وأيضا فإن الإسلام عندما يربى أبناءه فى هذا العصر لا يمكن أن يتصور أحد أنه سيتجاهل الاكتشافات والدراسات الحديثة فى علم النفس من جهة، ولا تطور المجتمع وحاجاته ونمو العلوم والمعارف من الجهة الأخرى، ومن هنا فإن تربية الإسلام لأبنائه اليوم ستكون تربية جديدة لمرحلة جديدة من عمر هذه الأمة الإسلامية التى تتطلع إلى البعث والنهوض فى الغد القريب بإذن الله.

وإذا كنا - نحن المسلمين - أصحاب فكرة وعقيدة ومبدأ، ألا يكون أول ما نهتم به هو تربية أطفالنا وأطفال المسلمين بطريقة علمية منظمة. وإذا كان ليس بمقدورنا أن نجعل كل مدارس الدولة وجامعاتها مدارس إسلامية حقيقية، فهل نعجز عن إنشاء مدارس نموذجية ولو قليلة ؟

لقد عرف عصرنا الحديث كثيراً من رجال التربية الذين كانت لهم آراؤهم التربوية، والذين أقاموا المدارس النموذجية لتجريب تلك الآراء، لقد فعل ذلك مربون كثيرون مثل بستمالوتزى، وفروبل، وهربارت، وجون ديوى، وآخرون، فعلوا ذلك ولم يخشوا الفشل أو يترددوا؛ لأنهم قد لا يحققون النجاح مائة فى المائة، وكانت مدارسهم النموذجية دليلاً عن إخلاصهم لمبادئهم وفكرهم حتى وإن لم تنجح فى تحقيق أغراضها مائة فى المائة، ولكن يكفى أنهم حاولوا وكانت محاولاتهم دليل إخلاصهم، وكانت تلك المحاولات رصيداً ضخماً لكل من أتى بعدهم من رجال الفكر والتربية. وإذا كان هؤلاء قد فعلوا ذلك فلماذا لا يكون لنا أيضا مدارسنا النموذجية التى نطبق فيها آراؤنا فى التربية والتعليم، فى محاولة جادة لتطوير تلك الآراء وإظهارها إلى عالم الواقع، ودعوة الناس بالقدوة العملية إلى روعة تلك التربية الإسلامية، وإدراك عائدها المادى والأدبى الملموس.

وعندما نقول: إن أمثال هذه المدارس ستكون مدارس نموذجية أو تجريبية فإنا نقصد بذلك أمرين:

الأمر الأول:

إن الإسلام قد غاب فعلاً - كما ذكرنا - عن ساحة التربية والتعليم فى بلاد المسلمين لقرون طويلة، وربيت أجيال كثيرة بعيداً عن هدى هذا الدين. ولذا فالذين يحاولون صياغة فكر تربوى إسلامى معاصر سوف يواجهون الكثير من الصعاب، وعليهم تذليل تلك الصعاب، وإيجاد الحلول

العلمية والتربوية المناسبة، ومن ثم فإن تلك المدارس التى ستقام باسم «الفكرة الإسلامية» هى مدارس تجريبية بهذا المعنى. إنها ستحاول أن تطبق الإسلام – كل الإسلام – فى ميدان التربية لأول مرة بعد غياب طويل يمتد لعدة قرون؛ ولذا سيكون عملها فى بدايته مشوباً ببعض القصور الذى لابد من تلافيه مع الأيام، ومع زيادة البحث والخبرة والتجريب فى هذا الميدان.

الأمر الثانى:

من الأفضل أن يطلق على مثل تلك المدارس «المدارس الإسلامية التجريبية»، ليس لأنه ستكون تجربة جديدة محدودة فقط، بل ولأن القائمين عليها سوف يتطلعون يومًا إلى تطوير تلك المدارس وتعميمها، بحيث تخدم كنموذج يقيمون على أساسه الكثير من المدارس والمعاهد التربوية بإذن الله، ويدعون إلى تعميم المناهج والأهداف وطرق التدريس التى تكون تلك المدارس التربوية قد طبقتها بنجاح واقتدار.

أولا: روضة الأطفال الإسلامية التجريبية:

وهى مهمة للأطفال قبل التحاقهم بالمدرسة الابتدائية، حيث يقضون أوقاتهم فى الألعاب المختلفة، وسماع الأناشيد والموسيقى، ومشاهدة المناظر الطبيعية، وتجهز بشتى وسائل الألعاب المناسبة للأعمار المختلفة، كالأراجيح وما أشبهها، وبأنواع اللعب العملية التى تنمى قدرات الطفل، وتهيئ الروضة للأطفال وسائل النظافة والتغذية الضروريتين لنموهم النمو السليم،

كتقديم وجبة طعام مع الحليب، وإشراف صحى وتطبيب وتمريض مناسب، وعادات صحية يتعود الأطفال عليها منذ الصغر.

كما يجب أن يشرف على الأطفال مربيات فاضلات، يغرسن فيهم العادات السليمة، ويحكين لهم القصص الدينى وغير الدينى المملوء بالعبر والمثل العليا، ويكافحن استعمال الألفاظ البذيئة وخشونة المعاملة، ويأخذونهم إلى الحدائق والمناظر الطبيعية القريبة، ويقمن معهم علاقة من الحب والحنان الحقيقى يستطعن بها أن يكن محبوبات من الطفل ومؤثرات فى سلوكه.

ولأهمية تلك المرحلة بالذات فى حياة الطفل، فلابد من الاهتمام الكامل باختيار المدرسات العاملات بروضة الأطفال، وكذا الجهاز الإدارى، وتوفير الراتب المجزى لهن، مع بيوت للسكن، وتنظيم دورات دراسية لهن، وحلقات مناقشة من وقت لآخر حول مستوى الأداء ولتبادل الخبرات العلمية والمهنية ونموها.

ثانيا: المدرسة الابتدائية الإسلامية التجريبية:

وتتناول الأطفال من سن السادسة إلى تمام الثانية عشرة، وتزودهم بالخبرات الدراسية التى ينالها تلميذ المرحلة الابتدائية فى المدارس العادية، مع الاهتمام بالكيف إلى أبعد الحدود، وكذا الاهتمام باللغة العربية، وحفظ القرآن الكريم، وتعريفهم بواجبات المسلم نحو نفسه وربه وأهله، وتحبيب الأطفال فى مشاهدة الطبيعة، مع العناية بالصحة والرياضة البدنية،

وتشجيعهم على استخدام أيديهم ومخيلاتهم. ويكون بالمدرسة مسجد، وتنظم أوقات الدراسة بحيث يؤدى الطلاب صلاتهم فيه جماعة مرتين كل يوم.

ورغم أن طالب المدرسة لابد أن يحصل المعلومات الدراسية التى تريدها الدولة، إلا أنه لابد من وضع كتب خاصة أو مساعدة لتلك المدارس، وكذلك لابد من استخدام طرق تدريس أخرى تهتم بنشاط التلميذ وحريته واستثارة اهتمامه وتشجيعه على اللعب الهادف والأعمال الكشفية، واشتراك الأطفال فى الأعمال الخيرية، وتنمية حب القراءة، ويراعى ذلك كله فى تجهيز المكتبة، واختيار المدرسين، وفى الجو العام السائد للمدرسة.

ثالثًا: المدرسة الإعدادية الإسلامية التجريبية، والمدرسة الثانوية الإسلامية التجريبية:

وستكون مماثلة للمرحلة الإعدادية والثانوية العادية من حيث شروط القبول، ومستوى التحصيل الدراسى، ولكن مع التركيز على اللغة العربية والدين الإسلامى الصحيح، وكذا إحدى اللغات الأجنبية والتربية البدنية والفنية.

وينبغى أن تتميز تلك المدارس الإسلامية التجريبية باهتمامها الكبير بالتربية العملية الإنتاجية، بحيث يعود الطلاب على العمل اليدوى والإنتاج الآلى فى إحدى المجالات الزراعية والصناعية والتجارية، أو الفنون المنزلية وفق مواهب وميول الطلاب؛ ولذلك فهناك ضرورة من وجود المعامل

والحقول الملحقة بتلك المدارس ليشتغل فيها الطلاب اشتغالاً يدوياً، مهما كانت دراسته أدبية أو علمية. أما بالنسبة للفتيات فلابد من التركيز - بجوار ما سبق - على إعدادهن كأمهات مسلمات وربات بيوت، وتزويدهن بكل المهارات والمعارف المتصلة بتربية الطفل وإدارة المنزل، مع توجيه الاهتمام إلى الجانب السلوكي والديني في حياة الطلاب، وسوف تنقى المناهج المقررة .

خطوات التنفيذ:

يدعى إلى مؤتمر تربوي إسلامي من أجل هذا الغرض، يحضره أكبر عدد ممكن من أعضاء هيئات التدريس بالمعاهد والكليات التربوية، وكذا كبار العاملين بحقل التربية والتعليم، والمهتمين بهذا المشروع من رجال الفكر الإسلامي ورجال التوجيه والإعلام، وكذا المدرسين بجميع مراحل التعليم.

ويمكن إقامة ذلك المؤتمر في إحدى المدن الجامعية خلال الأسبوع الأول من الأجازة الصيفية مثلاً، ويكون من مهام هذا المؤتمر:

أ - السماع إلى محاضرات عامة عن أهمية المشروع، وأهمية التربية الإسلامية - محاضرة كل يوم مثلاً.

ب - مناقشة أهمية المشروع، ووضع تصور عام لمكان المشروع،ومستلزماته من أبنية وأجهزة ومدرسين وإداريين... إلخ، وتكاليف كل ذلك.

جـ - مناقشة أسلوب التمويل وكيفية توفير المال اللازم.

د - تشكيل لجان من المتخصصين لوضع المناهج الدراسية اللازمة أو نقد المناهج الحالية من وجهة النظر الإسلامية؛ لتكون دليلاً للمعلم.

هـ - تشكيل لجنة تنفيذية يعهد إليها بمتابعة هذا المشروع حتى يتم تنفيذه، مع وضع خطة زمنية للانتهاء من هذا المشروع.

حاشية:

١ - يكون من واجب لجنة إعداد المؤتمر التربوى الإسلامى الاتصال بالمهتمين بهذا الموضوع ودعوتهم إلى المشاركة فى أعمال المؤتمر، وتكليفهم ببعض المهام الواردة فى جدول عمل المؤتمر من (أ) وحتى (هـ)، وإعداد خطط عمل أو تصورات عامة (تعرض على المؤتمر).

٢ - يفضل أن تصل تلك الخطط أو الأوراق إلى لجنة إعداد المؤتمر قبل عقده بمدة كافية.

٣ - ينبغى مشاركة أكبر عدد من الحاضرين فى وضع التصور العام للمشروع، حيث إن أغلبيتهم سيكون من رجال الفكر أو رجال التربية المهتمين بهذا الأمر.

الفهرس

الموضوع	الصفحة